

ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم ؟

تأليف
الداعية الإسلامي أحمد ديدات

ترجمة وتعليق
وليد عثمان

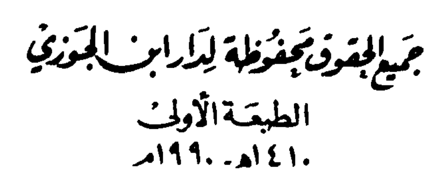
تقديم ومراجعة
علي حسن علي عبد الحميد

دار ابن الجوزي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



ماذا تقول التوراة والإنجيل
عن محمد صلى الله عليه وسلم ؟



الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الدمام: شارع ابن خلدون ت: ٨٤٢٨١٤٦
ص.ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس ٨٤١٢١٠٠
الأحساء: الهفوف - شارع الجامعة
ت: ٥٨٢٤٦٧٢ - ص.ب ١٧٨٦

ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد صلى الله عليه وسلم ؟

تأليف
الداعية الإسلامي أحمد ديدات

ترجمة وتعليق
وليد عثمان

تقديم ومراجعة
علي حسن علي عبد الحميد

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الله تعالى:

﴿الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وإِنَّ فَرِيْقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

[البقرة: ١٤٦]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمونَ﴾.

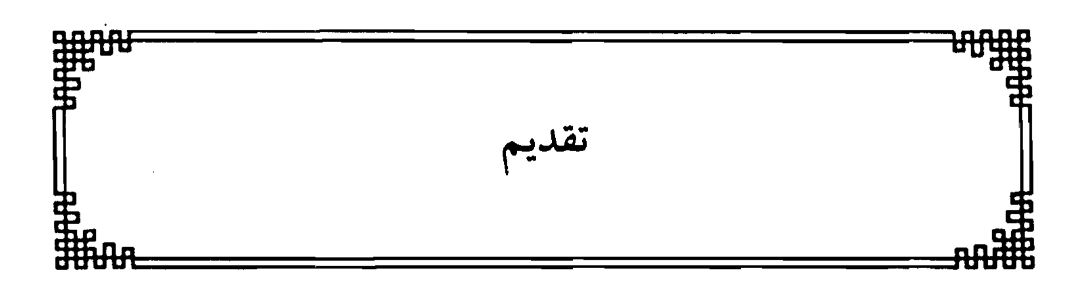
[آل عمران: ٦٤]

المقدمة

وتشتمل على المباحث التالية :

- تقديم .
- نُبْذة عن حياة الدَّاعية الإسلامي أحمد ديدات .
- هذه الرسالة .





تقديم

إنَّ الحمدَ لله ؛ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ الله ؛ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يضلِلْ ؛ فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعدُ:

فإنَّ الله ـ سُبحانَهُ وتعالى ـ قالَ في كِتابِهِ العزيز:

﴿وإذْ قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ إنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّناتِ قَالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِيْنٌ﴾.

﴿ومَنْ أَصْدَقُ مِن اللهِ قِيْلاً﴾.

لِذَا ؛ فإنَّ البِشـاراتِ الإنجيليَّةَ والتَّوراتيَّةَ التي بَشَّرَتْ بنبيِّنا الأعظم

محمَّدٍ ﷺ كثيرةٌ وفيرةٌ، لا زالَتْ ـ ولله الحمدُ ـ بقايا مِنْها إلى ساعَتِنا هٰذه في (الكتابِ المقدَّس) بعَهْدَيْهِ: القَديم والجَديدِ، بالرُّغْمِ مِمَّا طَرَأَ عليهِ مِن تحريفٍ وتبديلٍ؛ كَما قالَ ـ جَلَّ شأْنُهُ ـ:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ ويَقُولونَ سَمِعْنَا وعَصَيْنا﴾.

وقالَ ـ سُبْحانه ـ:

﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ ونَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

ومَعَ هٰذا كُلِّهِ، فقدْ حَفِظَ اللهُ ـ سُبحانَه وتعالى ـ بقيَّةً من ذٰلك للأُمَمِ كُلِّها، وللخَلائِقِ جَمْعاءَ؛ لِيُقيموا الحُجَّةَ مِن أَنْفُسِهم على أَنْفُسِهم، بظهارةِ حَقٍّ، ونصاعَةِ فِكْرٍ، وجَلاءِ حُجَّةٍ.

﴿وما يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾.

وفي كتابِنا الذي بينَ يديكَ ـ أخي القارىء ـ تَطَرَّقَ المؤلفُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ، وأَعْظَمَ النَّفعَ بهِ ـ لبشارَتَيْنِ اثنَتَيْنِ فقط، لكنَّهُ حَلَّلَ معانيَهما تَحْليلاً علميّاً منطِقيّاً رائِعاً، لم يُبْقِ شَكّاً، ولم يَتْرُكْ ريبةً.

ولو أَنَّهُ ـ حفظه الله ـ تَطَرَّقَ لسائِرِ البشاراتِ التوراتِيَّةِ والإنجيلِيَّةِ الباقيةِ في الكتابِ المُقَدَّسِ عندَهم إلى أَيَّامِنا الحاضرةِ هٰذه؛ لَما وَسِعَهُ أَضعافُ كتابِهِ هٰذا، لكنَّهُ اكْتَفى بأَقَلِّ القَليلِ، مِمَّا الحُجَّةُ فيه قويَّةٌ، والبراهينُ عليهِ جَلِيَّةٌ، لعلَّ بعضَ المُتَنَوِّرينَ مِن النَّصارى ـ أو اليهودِ ـ يَهْديهِمُ اللهُ

ـ سُبحانَهُ ـ للحَقِّ الذي هُو دينُ الإسلامِ ، الَّذي قالَ اللهُ رَبُّنَا ـ عَزَّ شأْنُهُ ـ فيهِ:

﴿إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ﴾.

﴿ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُو في الآخِرَةِ مِن الخَاسِرِيْنَ﴾.

ولقدْ أَحبَبْتُ في هٰذه المقدِّمةِ الوجيزَةِ أن أُضيفَ بشارةً ثالثةً لا يَسَعُ أَحداً حَكَّمَ عَقْلَهُ، وأَزاحَ سِتارَ التَّعَصُّبِ عنْ عَيْنَيْهِ؛ إلا أَنْ يُقِرَّ لها، ويَعْتَرِفَ بها:

وَرَدَ في «التوراة» (سفر التثنية ـ إصحاح ٣٣) ما نصُّهُ:

«جاءَ الرَّبُّ مِن سيناءَ، وأَشْرَقَ لنا مِن سَاعِير، واسْتَعْلى[١] مِن جبلِ فاران، ومعهُ أُلوفُ الأطيارِ».

ــ فمَجيءُ الرَّبِّ مِن سيناءَ: هُو مِن طُوْرِها، أَي: إنزالُه ـ سبحانَه ـ التوراةَ على موسى ـ عليه السلامُ ـ، حيثُ كَلَّمَه في جبلِ الطُّورِ.

ــ وإشراقُهُ لهُم مِن ساعير: إنزالُهُ الإنجيلَ على عيسى ـ عليه السلام ـ إذْ ساعير: «في التوراةِ اسمٌ لجبالِ فلسطينَ، وهُو مِن حُدودِ الرُّومِ، وهو قريةٌ مِن النَّاصرةِ بينَ طَبَريَّةَ وعَكَّةَ»[٢].

---

(١) وفي بعض نُسَخهم: «واستعلن».

(٢) كما قالَ ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣ / ١٧١)، وقد أشار إلى هٰذه البشارةِ.

ـ أمَّا استِعْلانُهُ مِن جَبَلِ فاران؛ فهُو إنزالُهُ القرآنَ على نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

وفاران: «كلمةٌ عبرانيةٌ معرَّبةٌ، وهي مِن أسماءِ مكَّةَ، ذكَرَها في التَّوراةِ»؛ كما في «معجم البلدان» (٤ / ٢٢٥) أيضاً.

وهو نفسُهُ الجبلُ الذي فيهِ غارُ حِراء[1]، حيثُ نزلَ الوحيُ على رسولِ اللهِ ﷺ أوَّلَ مرَّةٍ.

وقد يَعْترِضُ معتَرِضٌ قائلاً:

ما الدَّليلُ على أنَّ (فارانَ) هي مَكَّةُ؟! وهل مُجَرَّدُ ذِكْرِ ياقوتَ لها يُعَدُّ دليلاً على ذلك؟!

فالجوابُ: أنَّ هٰذه مسألةٌ جغرافيَّةٌ، يُرْجَعُ فيها إلى أهلِ هٰذا العلمِ، وياقوتُ مِن أعلَمِهم باتِّفاقِ ذوي المعرفَةِ مِن كُلِّ المِلَلِ.

ومَعَ ذلك، فهناكَ دليلٌ يُقْنِعُ المعْتَرِضَ ويُسْكِتُهُ، فقدْ وَرَدَ في «التوراةِ» (سفر التكوين ـ إصحاح ٢١) عندَ ذِكْرِ إسماعيلَ ـ عليه السلامُ ـ وحالِهِ:

«وسَكَنَ بَرِّيَّةَ فارانَ، وأَخَذَتْ لهُ أُمُّهُ امرأةً مِن مصرَ».

ومِمَّا لا يُنْكَرُ عندَ المِلَلِ كُلِّها أنَّ سُكْنى إسماعيلَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ كانتْ بمكَّةَ، وهي نفسُها بَرِّيَّةُ فارانَ، وجبالُها: جبالُ فارانَ.

وهي حُجَّةٌ دامغةٌ بحمدِ اللهِ؛ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذينَ أُوْتُوا الكِتابَ ويَزْدادَ

---

(١) وسيأتي ذِكره في (ص ٤٥) من هٰذه الرسالة.

الَّذينَ آمَنوا إِيْماناً﴾ .

﴿الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وإِنَّ فَرِيْقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمونَ الحَقَّ وهُمْ يَعْلَمونَ﴾ .

○○○○○



نُبذةٌ عن حياةِ الدَّاعيةِ الإسلاميِّ
أحمد ديدات

ـ اسمُه أحمد حُسين ديدات.

ـ وُلِدَ في مدينة (تادكسها فاز) في الهند سنة ١٩١٨م.

ـ هاجر سنة ١٩٢٥م من الهند إلى إفريقية لحوقاً بوالدِهِ الذي سَبَقَه إليها.

ـ عاشَ أحمد ديدات ووالدُهُ في مدينة (ديربان) في جنوبِ إفريقية، وكانَ والدُهُ خيَّاطاً.

ـ بعد وُصولِهِ إلى جَنوبِ إفريقية بسنواتَ التَحَقَ بالمركزِ الإسلاميِّ، وبدأ يتعلَّمُ تَعاليمَ الإسلامِ.

ـ وفي عام ١٩٥٩م قرَّر ديدات أن ينتَهِجَ نهجَ الدعوةِ إلى الله ـ سبحانَهُ ـ مختطّاً طريقاً شائكاً، هو طريقُ دعوةِ غيرِ المسلمينَ للإسلامِ.

ـ وكانتْ أوَّلَ مُؤلَّفاتِهِ ـ فيما نعلمُ ـ هٰذه الرسالَةُ التي بينَ يديْكَ أخي القارىءُ، ولهُ غيرُها رسائِلُ وكُتُبٌ أُخْرى؛ منها:

١ ـ «مَن دَحْرَجَ الحَجَرَ؟».

٢ ـ «هل الكِتابُ المقدَّسُ كلمةُ اللهِ؟».

٣ ـ «علامَةُ يونان».

وغيرُها.

ــ أمَّا مُناظرتُه مع القَساوسَةِ والمُبَشِّرينَ؛ فهي أكثرُ مِن أنْ تُحْصى، ولقدْ كانَ عددُ الحُضورِ في بعضِ مناظراتِه ما يزيدُ على الثلاثينَ ألفاً.

وأشْهَرُ مناظَراتِه التي أخذتْ أبعاداً كبيرةً هي مُناظرتُه مَعَ القِسِّيسِ الأمريكيِّ جيمي سواجارت التي أُقيمَتْ في جامعة لويزيانا في شهر تشرين الثاني[1] ١٩٨٦م.

ــ أرسلَ رسالَةً لِبابا الفاتيكان يدعوهُ فيها للمُناظَرَة، فلم يأتِهِ رَدٌّ في المرَّةِ الأولى، ثم أرسلَ ثانيةً، فجاءَهُ الردُّ لمقابلَتِه في سكرتاريَّةِ البابا الخاصَّة في الفاتيكان، فردَّ عليه الشيخ ديدات بأن يكونَ الحوارُ في مكانٍ عامٍّ، حتى يتمَكَّنَ أكبرُ عددٍ ممكنٍ مِن الناسِ مِن مختَلَفِ الدِّياناتِ من مراقبةِ الحوارِ بينَ طرفينِ يُمَثِّلانِ الإسلامَ والنَّصرانيةَ!

ولم يأتِهِ جوابٌ، رُغمَ إرسالِهِ برقيَّاتٍ ورسائِلَ أُخرى!!

ــ وقد نشرتْ مجلَّةُ «المختار الإسلامي» رسالةً بعنوان «أحمد ديدات بين الإنجيلِ والقرآن».

---

(١) وفي «مجلة اقرأ» (العدد رقم ٦٦٥ ـ بتاريخ ٢٠ / ٨ / ١٤٠٨ ـ ص١٣) ملاحظتان مهمَّتان على بعض الأفكار المطروحة في المناظرة، فلتنظر.

وفي «مجلة المجتمع» الكويتية (رقم ٩٠٥) بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٩ لقاءٌ بين المجلَّة والشيخ ديدات، تكلَّمَ فيهِ عن عدَّةِ قضايا إسلاميَّة وعلمِيَّة وعالَمِيَّة.

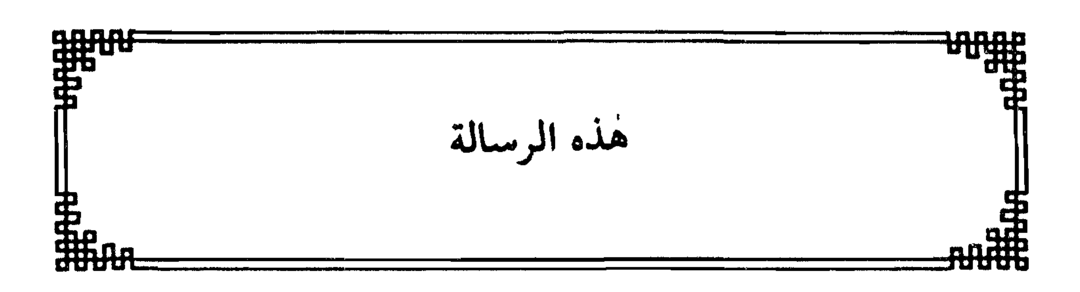
وكذلك في مقدمة الفاضلة فايزة محمد بكري على كتابه «مَن دَحْرَجَ الحجر؟»[1] (ص ٦ ـ ٩) ترجمةٌ له، وكلمةٌ عنه.

ـ نسأَلُ الله ـ سبحانَه ـ أَن يهديَ بهِ الكافِرينَ، وأَن يحْفَظَ بهِ المسلمينَ، وأَنْ يَرُدَّ بهِ كيدَ الضَّالِّينَ والمُعْتَدينَ، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

○○○○○

(١) وفي ترجمتِه أخطاءٌ كثيرةٌ للأسف.





هٰذه الرسالة

ـ مِن أوائلِ مُؤلَّفاتِ الشيخِ أحمد ديدات.

ـ حَلَّلَ فيها بشارتينِ مِن البشائرِ التَّوراتيَّةِ والإنجيليَّةِ التي بشَّرتْ بنبيِّنا محمدٍ تحليلاً علميّاً رائعاً.

ـ هي في أَصْلِها مناقشةٌ حَصَلْت بينَهُ وبينَ القسِّيسِ فان هيدرن، ثمَّ سَجَّلَها على أوراقٍ، وجَعَلَها مؤلَّفاً مستقلاً.

ـ أُسلوبُهُ فيها قويٌّ متينٌ، يعتمِدُ على الحُجَّةِ والبُرهانِ بالطريقةِ التي يؤمِنُ بها الذينَ لم يؤمِنوا بالقرآنِ، ولا بالنبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ.

ـ جَرَّهُ أُسلوبُ الرَّدِّ ـ في بعضِ الأحيانِ ـ إلى بعضِ العباراتِ التي تحوي شيئاً مِمَّا قد ينتَقِدُهُ طلبَةُ العلمِ، ولكنَّ هٰذه العباراتِ لم يَقُلْها إلا مُحاجَجَةً لخُصومِهِ، ورداً لمُناظِريهِ، بصورةٍ علميَّةٍ عقليَّةٍ، لا يستطيعونَ لها رداً، ولا يَقْدِرونَ لها جَواباً.

ـ ضَبَطْتُ الرسالةَ ضبطاً ـ أراهُ ـ تامّاً، وراجَعْتُها مراجعةً لغويَّة

نحويّةً، مع مُراعاةِ السِّياقِ[1]، ثم علَّقتُ في بعضِ المواضعِ بما أُراهُ مهمّاً ولا بُدَّ منه، وقبلَ ذلك كتبتُ مقدِّمةً للرسالةِ، مع ترجمةٍ لمؤلِّفها ـ حفظه المولى سبحانَه ـ ونفَعَ بهِ.

علي حسن علي عبدالحميد
الحلبيّ الأثريّ

○○○○○

(١) وجزى الله مترجِمَها الأخ الفاضل وليد عُثمان طـاش خيراً، على ما بَذَلَهُ مِن جُهْدٍ في ترجمتِه، وأُقدِّمُ له شُكري على حُسْنِ ظنِّه بي، إذ أوكَلَ إليَّ مهِمَّةَ مراجعةِ الرسالةِ، والتعليقِ عليها، والتقديمِ لها، وفَّقه المَوْلى ـ سُبحانَه ـ لما فيه هُداهُ.



ماذا تَقولُ التَّوراةُ والإنجيلُ

عن محمَّدٍ ﷺ

؟



ماذا تقولُ التَّوراةُ والإنجيلُ عن محمَّدٍ ﷺ ؟

بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرَّحيمِ.

[الحَمْـدُ للهِ رَبِّ العَـالَمينَ، والصَّـلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا الأمينِ، المُبَشَّرِ بهِ في كُتُبِ الأنبياءِ السَّابقينَ، محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمَعينَ.

أمَّا بعدُ:][1]

فقد يُصابُ بعضُ النَّاسِ بالدَّهْشةِ من موضوعِ هٰذه الرسالةِ، وذٰلكَ أنَّ الكاتِبَ مسلمٌ، يستَشْهِدُ بـ «العهدِ القديم» ـ كتابِ اليهودِ ـ وبـ «العَهْدِ الجَديدِ» ـ كتابِ النَّصارى ـ؛ لِيُثْبِتَ البِشاراتِ التي جاءَتْ في «العَهْدَيْنِ» ببعثةِ الرَّسولِ محمَّدٍ ـ عليهِ السلامُ ـ.

ويعودُ تاريخُ هٰذه الرسالَةِ إلى أيَّامِ شَبابي، قبلَ أربعينَ عاماً، عندما كنتُ أذهَبُ للاستمـاعِ إلى سلسلةٍ مِن المُحـاضَـراتِ الَّتي كانَ يُلْقيهـا القسيسُ هايْتِنْ: أحَدُ عُلماءِ الدِّينِ المَسيحي، وذٰلك في المسرَحِ المَلَكِيِّ

(١) ما بين المعكوفين ليس في «الأصل». (علي).

في مدينةِ ديربان في جُمهوريَّةِ جنوبِ إفريقية.

○ البابا أم كيسنجَر؟

غالبـاً ما كانَ هٰذا القِسيسُ يتحـدَّثُ في مُحـاضـراتِه عن التنبُّؤاتِ الموجودةِ في الكتابِ المُقَدَّسِ:

فَمَثَـلاً تحدَّثَ ذاتَ مَرَّةٍ عن تَنَبُّؤِ الكِتابِ المُقَدَّسِ عن ظهورِ قُوَّةٍ عظيمةٍ في البلادِ الرُّوسيَّةِ (أي: الاتحاد السُّوفييتي).

وتحدَّثَ أيضاً عن تحدُّثِ الكتابِ المقدَّسِ عن قيامِ السَّاعَةِ.

حتى إنَّـهُ في إحدى مُحاضَراتِه تحدَّثَ عن تَنَبُّؤِ الكتابِ المُقَدَّسِ بظهورِ البابَويَّةِ في العالَمِ (أي: ظُهورُ البَابا).

وقد حاوَلَ جاهِداً ذاتَ يومٍ أَنْ يُقْنِعَ الحضورَ بأَنَّ الوحشَ (رقم ٦٦٦) المـذكـورَ في (سِفْرِ الرُّؤيا) من كتاب «العَهْدِ الجديد» هـو البابا، مُمَثِّلُ المسيحِ ـ عليهِ السلام ـ على وجهِ الأرضِ.

ولا أرى مِن المُناسِبِ لنا نحنُ المُسلمينَ أَنْ نَتَدَخَّلَ في هٰذا النِّزاعِ بين طائِفَتَيِ الكاثوليكِ والبروتستانتِ[1].

---

(١) إنَّ لهٰذا النزاع بين طائفتي الكاثوليك والبروتستانت جُذوراً عميقةً في التاريخِ، حيثُ بدأ هٰذا النـزاع عام ١٥١٧م عنـدمـا ثار الـراهب لوثيروس على البابا وعلى تعاليمِ الكنيسة، فاستَصْدَرَ البابا ليو العاشر حكماً بإعدام الراهب لوثيروس حرقاً بالنار، ثم جاء من بعـده الـراهب مارتِن لوثَـر، حيث ظهرت بعد تلك الأحداث الكنيسة البروتستانتية (أي: المُحْتَجَّة)، فندّدت بالبابا وبتعاليم الكنيسة، وأزالت الكثير من الطقوس الدينية.

على أيِّ حالٍ، فإنَّ أحدثَ ما توصَّلَتْ إليه تَنَبُّؤات عُلماءِ الدِّينِ المسيحيِّ أنَّ الوحش (رقم ٦٦٦) المذكورَ في (سِفْرِ الرُّؤيا) هو الدكتور هِنْري كيسنجر!!

فعُلماءُ الدينِ المسيحيِّ بارِعون، ولا يَعْرِفونَ التَّعَبَ في جُهودِهِم لإثباتِ وِجْهَةِ نَظَرِهم.

إنَّ مُحاضراتِ القَسيس (هايْتِن) قادَتْني للتَّساؤلِ والبحثِ.

فإذا كانَ الكتابُ المقدَّسُ قد تَحَدَّثَ عن تَنَبُّؤاتٍ كثيرةٍ جدّاً؛ مثلُ التَّنَبُّؤ بظُهورِ دولةِ إسرائيلَ، وظُهورِ البابا؛ فلا شَكَّ ولا رَيْبَ أنَّهُ تَنَبَّأَ بقُدومِ الرَّسولِ محمدٍ ـ عليه السلامُ ـ أعظمِ مُنقذٍ للبشريَّةِ.

وكَشابٍّ مُتَحَمِّسٍ، بدأْتُ بالبحثِ عن جوابٍ لهٰذا التَّساؤلِ!

فقمتُ بمُقابَلَةِ الكثيرينَ مِن القَساوِسَةِ ورجالِ الدينِ المسيحيِّ، وصِرْتُ أذهَبُ لحُضورِ النَّدَواتِ والمُحاضَراتِ التي تتعَلَّقُ بهٰذا الموضوعِ، وقمتُ كذٰلك بقراءةِ العديدِ مِن الكُتُبِ التي تتحَدَّثُ عن تَنَبُّؤاتِ الكتابِ المقدَّسِ.

وفي رسالتي هٰذه سأقُصُّ عليكُمْ إحدى مُقابَلاتِي مع واحدٍ مِن قساوِسَةِ الكنيسةِ الإصلاحيَّةِ الهولَنْديَّةِ في جُمهوريَّةِ جنوبِ إفريقية.

وبما أنَّ القسيس هايْتِن بروتستانتيٌّ؛ فإنه يدَّعي أن الوحش (رقم ٦٦٦) هو البابا، مما يثير غضبَ طائفة الكاثوليك؛ لأنهم يعتقدون أن البابا يمثِّل المسيح ـ عليه السلام ـ! (وليد).

○ (١٣) رقم الحَظّ:

كنتُ قد دُعِيْتُ لإلقـاءِ مُحـاضـرةٍ بمُناسبةِ مولدِ[١] الرَّسولِ محمدٍ ـ عليه السلامُ ـ في إقليم الترانسفال في جنوب إفريقيَّةَ، وكنتُ على علمٍ مُسْبَقٍ أنَّ اللغةَ الإفريقِيَّةَ هي اللغةُ السائدَةُ في هٰذا الإقليمِ بالذَّاتِ، حتى إنَّ أبناءَ جِنْسي الهُنودَ يتكَلَّمونَها؛ لذٰلك رأيْتُ في نفسي أنْ أتَدَرَّبَ على هٰذه اللُّغَةِ؛ كيْ لا أشْعُرَ أنَّني غَريبٌ بينَ النَّاسِ.

تَناوَلْتُ دليلَ الهاتِفِ، وبدأْتُ بمُهاتَفَةِ الكنائِسِ التي تتحَدَّثُ باللُّغَةِ الإفْريقِيَّةِ، وكنتُ بالطَّبْعِ أُفْصِحُ للقَساوِسَةِ الذينَ كنتُ أُهاتِفُهُم بأنَّني أُريدُ نِقاشَهُم ببعضِ المواضيعِ الدِّينِيَّةِ باللُّغَةِ الإفريقِيَّةِ، وكنتُ أُقابَلُ بالرَّفْضِ تارةً، وبالأعذارِ المَقبولَةِ تارَةً أُخْرى.

المُكـالَمـة (رقم ١٣) كانَتْ رَقَمَ الحَظِّ بالنسبـةِ لي، فقدْ أَدْخَلَتِ السُّرورَ والارتياحَ في نَفْسي، وذٰلك أنَّ القِسيسَ (فان هيدرن) وافَقَ على مُقابَلَتي في بيتِه بعدَ ظُهْرِ يومِ السَّبْتِ، وهُو اليومُ الذي كنتُ سأُسافِرُ فيهِ إلى إقليمِ التَّرانسفالِ.

ذهبتُ في الموعدِ المُحَدَّدِ، وقابَلَني القِسيسُ (فان هيدرن) في شُرفَةِ منزِلِه، فَرَحَّبَ بقُدومي، واسْتَأْذَنَني بأنَّ والدَ زوجَتِه البالغَ مِن العُمُرِ سبعينَ

(١) ونحن نعتقد ـ تبعاً للأدلة الشرعية ـ عدم جواز الاحتفال بمثل هٰذه الموالدِ، إذ لم يفعلْها مَن هم خير منا من سلف هٰذه الأمة، وقد كانوا أبرَّ الناس قلوباً، وأتقاهم أفئدة، وأنقاهم عقولاً.

وانظر رسالة «المورد في عمل المولد» للفاكِهاني، بتعليقي. (علي).

عاماً يرغَبُ في أَنْ يُشارِكَنا الحَديثَ، وبالطَّبْعِ لمْ أُمانِعْ، فجَلَسَ ثلاثَتُنا في مكتَبَةِ القِسِّيسِ (فان هيدرن).

○ لماذا لا شيء؟!

بدأْتُ حديثي سائلاً القِسِّيسَ: ماذا يَقولُ كِتابُكُم المُقَدَّسُ عن محمَّدٍ ـ عليه السلام ـ؟

وبدونِ أيِّ تَرَدُّدٍ أَجابَ القِسِّيسُ: لا شيء.

فسألْتُهُ: لماذا لا شيء؟! أَلَم يَتَنَبَّإِ الكتابُ المقدسُ بأشياءَ كثيرةٍ؛ مثلِ ظُهورِ دولةِ الاتحادِ السُّوفييتي، وقيامِ الساعةِ، وظُهورِ البابا؟!

فأَجابَ القِسِّيسُ: نعم، لقد تَنَبَّأَ الكتابُ بكُلِّ هٰذا، ولكنَّهُ لم يَذْكُرِ الرَّسولَ محمداً!

فقلتُ للقِسِّيسِ: لا بُدَّ مِن وجودِ ذكرٍ للرَّسولِ محمَّدٍ ـ عليه السلام ـ الذي جَعَلَ المُسلمينَ في العالَم يُؤمِنونَ:

١ ـ أَنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ كان ميلادُهُ مُعْجِزَةً من الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

٢ ـ أَنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ هو المسيحُ.

٣ ـ أَنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ كانَ يُحْيِي المَوْتَى، ويَشْفِي الأَعْمى والأَبْرَصَ بإِذْنِ الله ـ تعالى ـ.

لا شكَّ أَنَّ الكتابَ المُقَدَّسَ قد ذَكَرَ هٰذا القائدَ العظيمَ الذي أَثْنى

على عيسى وأُمِّهِ مريَمَ ـ عليهما السلامُ ـ!

في هٰذه اللحظةِ تَدَخَّلَ والدُ زوجَةِ القِسِّيس قائِلاً: يا بُنَيَّ! إنَّني أقرأُ الكِتابَ المُقَدَّسَ منذُ خمسينَ سنةً، فلو كانَ هُناكَ أيُّ ذِكْرٍ للرسولِ مُحَمَّدٍ؛ لَعَلِمْتُ بهِ!!

○ لَيْسَ بالاسمِ:

سألتُ القِسِّيسَ مُسْتَفْسِراً: أليسَتْ هناكَ مئاتُ التَّنَبُّؤاتِ التي تتحَدَّثُ عن مَجيءِ المسيحِ ـ عليه السلامُ ـ في «العهدِ القديمِ» مِن الكِتابِ المُقَدَّسِ؟

أجابَ القِسِّيسُ: ليسَ مئاتُ التنبُّؤاتِ، بل الآلافُ.

قلتُ للقِسِّيسِ: أنــا لا أريدُ أنْ أُنــاقِشَـكَ في هٰذه التَّنَبُّؤاتِ التي تتحَدَّثُ عن مَجيءِ عيسى ـ عليه السلامُ ـ، فالعالَمُ الإسلاميُّ بأكْمَلِهِ يؤمِنُ بالـمـسـيحِ ـ عليهِ الســلامُ ـ، فنحنُ المُسلمينَ نُؤْمِنُ بالمسيحِ ـ عليهِ السلامُ ـ بسببِ ما أُنْزِلَ على الرَّسولِ محمَّدٍ ـ عليه السلام ـ، ففي العالم تقريباً(١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠/ألفُ مليونِ مسلم) مِن أتْباعِ الرسولِ محمَّدٍ ـ عليه السلامُ ـ، يُحِبُّونَ المسيحَ ـ عليه السلام ـ، ويُؤمِنونَ بهِ، فهُم ليسوا بحاجَةٍ إلى كُلِّ هٰذه التَّنَبُّؤاتِ مِن الكتابِ المقدَّسِ.

ولكنْ، مِن بينِ هٰذه التَّنَبُّؤاتِ التي تتحَــدَّثُ عن مَجيءِ المسيحِ ـ عليه السلامُ ـ، فهلْ هُناكَ نبوءةٌ واحدةٌ تقولُ: إنَّ المسيحَ ـ عليه السلامُ ـ (والمسيحُ ليس اسماً، إنَّما هو لَقَبٌ كما هُو مَعروفٌ) القادِمَ سيكونُ اسمُهُ

عِيْسى ، وإِنَّ اسمَ أُمِّهِ سَيكونُ مريمَ ، وإِنَّهُ سَيُنْسَبُ إلى يُوسُفَ النَّجَّارِ، وإِنَّهُ سَيولَدُ في عهدِ الملكِ هيرودُس، وهٰكذا. . . ؟

أجابَ القِسِّيسُ: لا . . . ليس هُناكَ نُبوءةٌ بهٰذا التفصيلِ .

فقلتُ للقِسِّيسِ : إِذنْ؛ كيفَ علمتَ أَنَّ هٰذه الآلافَ مِن التَّنَبُّؤاتِ تتحدَّثُ عن مَجيءِ عيسى المسيحِ ـ عليه السلامُ ـ؟

○ **ما هِيَ النُّبوءَةُ؟**

أجابَ القِسِّيسُ: يجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النبوءةَ هي عبارةٌ عن صُوَرٍ لأشياءَ ستحْدُثُ في المستقبلِ ، وعندَ حُدوثِها نستطيعُ أَنْ نرى تحَقُّقَ هٰذه النُّبوءَةِ؛ لأَنَّها تنطَبِقُ على الشيءِ المُتَنَبَّإِ بهِ في الماضي .

فقلتُ للقِسِّيسِ : إِنَّ ما تفعَلُهُ حقّاً هو أَنَّكَ تستعْمِلُ طريقَةَ الاستنتاجِ والاستدلالِ والاستنباطِ؛ لتفسيرِ هٰذه التَّنَبُّؤاتِ؟

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ للقِسِّيسِ : إذا كانَ هٰذا ما تفعَلُهُ بهٰذه الآلافِ مِن التَّنَبُّؤاتِ؛ لتُثْبِتَ أَنَّها تنْطَبِقُ على عيسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فلماذا لا نستَعْمِلُ الطريقةَ ذاتَها مع الرَّسولِ محمدٍ ـ عليه السلامُ ـ؟

وهنا اتَّفَقَ معيَ القِسِّيسُ أَنَّ مَطْلَبي هٰذا عادِلٌ، وأَنَّها طريقةٌ مُنْصِفَةٌ لمعالَجَةِ هٰذه المُشْكِلَةِ.

فطَلَبْتُ مِن القِسِّيسِ أَنْ يَفْتَحَ كتابَهُ المُقَدَّسَ على (سِفْرِ التَّثْنِيَةِ) مِن العَهْدِ القَديمِ» (الإصحاح ١٨ / الفقرة ١٨):

فبَدَأْتُ بالقراءةِ مِن الذَّاكِرَةِ، وطَبعاً باللغَةِ الإفريقيَّةِ؛ لأنَّ هٰذا كانَ قَصْدي مِن الأصلِ، وهو التدرُّبُ على اللغةِ الإفريقيَّةِ؛ لأنَّها اللغةُ السائِدَةُ في جمهوريَّةِ جنوبِ إفريقيَّة.

والنَّصُّ يَقُولُ:

«أُقيمُ لهُمْ نَبيّاً مِن وَسَطِ إِخْوَتِهِم، مِثْلَكَ، وأَجْعَلُ كلامي في فَمِه، فيُكَلِّمُهُمْ بكُلِّ ما أُوصيهِ بهِ».

○ نَبِيٌّ مِثْلُ موسى ـ عليه السلامُ ـ:

بعدَما أتْمَمْتُ قراءةَ النصِّ باللغةِ الإفريقيَّةِ اعْتَذَرْتُ عمَّا إذا كنتُ قد أَخْطَأْتُ في لفظِ بعضِ الكلماتِ.

ولكنَّ القِسِّيسَ أَكَّدَ لي أَنَّ لَفْظِي كانَ جَيِّداً.

سأَلْتُ القِسِّيسَ: مَن هُو هٰذا النبيُّ الذي يَتَحَدَّثُ عنهُ هٰذا النَّصُّ؟

أَجابَ القِسِّيسُ وبدونِ أيِّ تَرَدُّدٍ: إنَّهُ المسيحُ.

فسَأَلْتُ القِسِّيسَ: لماذا افْتَرَضْتَ أَنَّهُ المسيحُ، فإنَّ اسمَه ليس مذكوراً في النَّصِّ؟

أَجابَ القِسِّيسُ: بما أنَّنا اتَّفَقْنا أنَّ النُّبوءَةَ هي صُوَرٌ لأشْياءَ ستحْدُثُ في المستَقْبَلِ؛ فإنَّ كلماتِ هٰذا النَّصِّ تنطبقُ على المسيحِ، فأَهَمُّ كلمةٍ في هٰذا النصِّ هي كلمةُ: «مثلَكَ»؛ أي: مثلُ مُوسى، وعيسى مثلُ موسى.

فسأَلْتُ القِسِّيسَ: لماذا تقولُ: إنَّ عيسى مثلُ موسى ـ عليهما

السلام ـ؟ ما هي أوجُهُ الشَّبَهِ بينَهما؟

أجابَ القسِّيسُ:

أولاً: موسى كانَ يهوديّاً، وعيسى أيضاً يهوديٌّ.

ثانياً: موسى كانَ نبيّاً، وعيسى أيضاً نبيٌّ.

فهٰذا ما قالَهُ الله لموسى: «مثلَكَ»، وعيسى مثلُ موسى، وهٰذا تحقيقٌ لهٰذه النُّبوءَةِ.

سألتُ القِسِّيسَ: هل هناكَ أيُّ تشابُهٍ آخَرَ بينَ موسى وعيسى ـ عليهما السَّلامُ ـ؟

أجابَ القِسِّيسُ: لا يَحْضُرُني أيُّ تشابُهٍ آخَرَ الآنَ.

فقلتُ للقِسّيسِ: إذا كانَ هٰذا هو التَّشابُهُ الذي جَعَلَ هٰذه النبوءَةَ تتحَقَّقُ، وتنطَبِقُ على المسيحِ ـ عليه السلام ـ؛ فما هو القولُ في هٰؤلاءِ الأنبياءِ الَّذينَ جاؤوا بعدَ موسى ـ عليه السلامُ ـ؛ مثل: ١ ـ سُلَيْمان. ٢ ـ أشْعِياءَ. ٣ ـ حَزْقيال. ٤ ـ دانْيال. ٥ ـ مَلاخي. ٦ ـ يُوحَنَّا المَعْمَدان. ٧ ـ هوشَع. ٨ ـ يُوئيل؟!

فكُلُّ واحدٍ منهُم كانَ يَهوديّاً ونَبِيّاً، وهٰذا يعني أنَّ النُّبوءَةَ تنطَبِقُ على كُلِّ واحدٍ منهُم، فلماذا اخْتَرْتَ المسيحَ مِن بينِهِم؟!

ولم يكُنْ لدى القِسِّيسِ أيُّ جوابٍ!!

فأكمَلْتُ قائلاً للقِسِّيسِ: ولكنْ حَسَبَ استنتاجاتي فأنا أعتقِدُ أنَّ المسيحَ عيسى ـ عليه السلامُ ـ ليسَ مثلَ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ، وإذا كُنتُ

مُخْطِئاً؛ أرْجو منكَ أنْ تُصَوِّبَني :

○ **ثلاثُ مُفارَقاتٍ :**

قلتُ للقِسِّيسِ :

أوّلاً : أنتُم تعتَقِدونَ أنَّ عيسى ـ عليه السلام ـ إلهٌ، وأنَّ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ نبيٌّ، أليسَ هٰذا صحيحاً؟

أجابَ القِسِّيسُ : نعم، هٰذا صحيحٌ.

فقلتُ للقِسِّيسِ : إذنْ، فإنَّ عيسى ليس مِثْلَ موسى ـ عليهما السلامُ! ـ.

ثم أكملْتُ قائلاً للقِسِّيسِ :

ثانياً : أنتُم تعتَقِدونَ أنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ ماتَ مِن أجلِ خَطايا البَشَرِ، أمَّا موسى ـ عليهِ السلامُ ـ؛ فلم يَمُتْ مِن أجلِ خطايا البَشَرِ، أليسَ هٰذا صحيحاً؟

أجابَ القِسِّيسُ : نعم.

فقلتُ للقِسِّيسِ : إذنْ؛ فإنَّ عيسى ليس مثلَ موسى ـ عليهِما السَّلامُ ـ!

ثم أكمَلْتُ قائلاً للقِسِّيسِ :

ثالثاً : أنْتُم تعتَقِدونَ أنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ دَخَلَ جهَنَّمَ لمدةِ ثلاثةِ أيَّامٍ، أمَّا موسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فلم يدْخُلْ جَهَنَّمَ لمدةِ ثلاثةِ أيَّامٍ، أليسَ

هٰذا صحيحاً؟

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ للقِسِّيسِ: إذَنْ، فإنَّ عيسى ليس مثلَ موسى ـ عليهِما السلامُ ـ!

ولكنْ، يا حضـرَةَ القِسِّيسِ، هٰذه ليستْ براهينَ قويةً، ولا حقائِقَ ملموسَةً وواقعيَّةً.

فهٰذه الأمورُ تَدْخُلُ ضمْنَ الاعتقاداتِ التي قد يَتَعَثَّرُ ويَزِلُّ فيها بعضُ النَّاسِ.

لذٰلك؛ أرى أنْ نُناقِشَ بعضَ الأمورِ البسيطَةِ والمفهومَةِ، والَّتي هي مِن السُّهولَةِ بحيثُ لو أنَّنا دَعَوْنا أطفالَكَ للاستِماعِ إليها؛ لا يَجِدونَ أيَّ صُعوبَةٍ في فَهْمِها ومُتابَعَتِها، فما رأيُكَ بهٰذا الاقتِراحِ؟

وتَقَبَّلَ القِسِّيسُ اقتِراحي هٰذا بِصَدْرٍ رَحْبٍ!

○ أَبٌ وأُمٌّ:

قلتُ للقِسِّيسِ: إنَّ موسى ـ عليه السلامُ ـ كانَ لهُ أَبٌ وأُمٌّ، ومحمدٌ ـ عليه السلامُ ـ كانَ لهُ أَبٌ وأُمٌّ، أمَّا عيسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فلم يكُنْ لهُ سوى أُمٍّ، إذ لم يكُن لهُ أبٌ. أليسَ هٰذا صحيحاً؟

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ له: إذنْ، فإنَّ عيسى ليسَ مثـلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهِما السلامُ ـ.

○ إعْجازٌ في الولادَةِ:

موسى ومحمَّدٌ ـ عليهما السلامُ ـ تَمَّتْ ولادتُهما بالطريقةِ الطَّبيعيَّةِ المعروفةِ، أيْ: بطريقةِ الزواجِ التي تتمُّ بينَ الرجلِ والمرأةِ.

أمَّا عيسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فقد كانَ ميلادُهُ معجزةً مِن اللهِ ـ سبحانه وتعالى ـ؛ كما جاء في «إنجيل مَتَّى» (١ / ١٨)، حيثُ يقولُ:

«وهٰذه سيرةُ ميلادِ يسوعَ المسيحِ: كانَتْ أُمُّهُ مخطوبةً ليُوسُفَ، فتبيَّنَ قبلَ أنْ تَسْكُنَ معهُ أنَّها حُبْلَى مِن الرُّوحِ القُدُسِ».

وفي «إنجيلِ لوقا» (١ / ٣٥):

«عندما بُشِّرَتْ مريمُ ـ عليها السلامُ ـ بولادةِ عيسى ـ عليه السلامُ ـ قالَتْ: كيفَ يكونُ هٰذا وأنا عذراءُ لا أعْرِفُ رجلاً؟ فأجابَها المَلاكُ: الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عليكَ، وقُدْرَةُ اللهِ العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ».

والقرآنُ الكريمُ يُؤيِّدُ معجزةَ ميلادِ عيسى ـ عليه السلامُ ـ بأُسلوبٍ أدبيٍّ رفيعٍ ونبيلٍ، حيثُ يقولُ على لسانِ مريمَ ـ عليهما السلامُ ـ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾.

ويُجيبُها المَلَكُ: ﴿قَالَ كَذٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ إذا قَضَى أمْراً فإنَّما يَقُولُ لهُ كُنْ فَيَكونُ﴾[1].

وهٰـذه هي عقيدةُ المسلمِ في ميلادِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ـ عليه

---

(١) آل عمران: ٤٦.

السلامُ ـ، فالله ـ سبحانَه وتعالى ـ ليس بحاجةٍ لأنْ يزْرَعَ المَنِيَّ (أي: ماءُ الرجلِ) في الإنسانِ أو الحيوانِ؛ لأنَّهُ إذا أرادَ شَيْئاً؛ فإنَّهُ سيتحَقَّقُ لا محالَةَ.

وعندما قُمْتُ بمُقارَنَةِ نَصِّ القُرآنِ الكريمِ ونَصِّ الكِتابِ المقدَّسِ عنْ قِصَّةِ ولادةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وذلكَ أمامَ رَئيسِ جمعِيَّةِ الكِتابِ المُقَدَّسِ في مدينَةِ جُوهانسبرغ في جُمهُورِيَّةِ جنوبِ إفريقيَّة، وسألْتُهُ: أيُّ واحدٍ مِن النَّصَّيْنِ تُفَضِّلُ أنْ تَقْرَأَهُ على ابنَتِكَ؟

أجابَ الرئيسُ مُطَئْطِئاً رأْسَهُ: النَّصُّ القُرآنِيُّ.

سألْتُ القِسِّيسَ: أليسَ صحيحاً أنَّ ميلادَ عيسى كانَ معجِزَةً بالنسبةِ لميلادِ موسى ومحمَّدٍ ـ عليهِم السَّلامُ ـ؟

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ لهُ: إذنْ؛ فإنَّ عيسى ليس مثلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهِم السلام ـ.

○ الرَّوابِطُ الزَّوْجِيَّةُ:

موسى ومحمدٌ ـ عليهما السلامُ ـ تزوَّجا وأنْجَبا أولاداً.

أمَّا عيسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فقد بَقِيَ أعْزَبَ طيلةَ حياتِه، أليسَ هذا صحيحاً؟

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ له: إذَنْ؛ فإنَّ عيسى ليسَ مثلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهم السلامُ ـ.

○ **عيسى ـ عليه السلامُ ـ رفَضَهُ أبناءُ أمَّتِه:**

موسى ومحمَّدٌ ـ عليهما السلام ـ اعْتَرَفت بهما أُمَّتُهما على أنَّهما رسولانِ من عند الله ـ تعالى ـ أثناءَ حياتِهما، ولا نُنْكِرُ أنَّ اليهودَ أتعبوا موسى ـ عليه السلامُ ـ بكُفْرِهم وعنادِهِم، وخَلَقوا لهُ الكثيرَ مِن المتاعبِ والصِّعابِ، ولكنَّ أُمَّةَ اليهودِ عامَّةً تُؤمنُ بموسى ـ عليه السلامُ ـ وتَقْبَلُهُ على أنَّهُ رسولٌ مِن عندِ الله ـ تعالى ـ.

والعَرَبُ كذلك جَعَلوا حياةَ محمدٍ ـ عليهِ السلامُ ـ مستحيلةً، فقد عانى منهُم الكثيرَ، مِمَّا اضْطَرَّهُ للهجرةِ مِن مكَّةَ المكرَّمَةِ مَسْقَطِ رأْسِهِ، بعد (١٣) عاماً مِن الدعوةِ فيها.

ولكنَّ أُمَّةَ العَرَبِ عامةً آمَنَتْ بِهِ قبلَ وفاتِه، وقَبِلَتْهُ على أنه رسولٌ مِن عند الله ـ تعالى ـ.

أمَّا عيسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فقد رَفَضَهُ شعْبُهُ وأبناءُ أمَّتِه؛ كما يروي لنا «إنجيلُ يوحنَّا» (١ / ١١) حيثُ يقولُ:

«إلى بيتِه جاءَ، فما قَبِلَهُ أهلُ بيتِه».

وفي يَوْمِنا هٰذا، وبعدَ ألفي عامٍ تقريباً، فإنَّ الشعبَ اليهوديَّ (بني إسرائيلَ) وهُم أبناءُ أمَّةِ عيسى ـ عليه السلامُ ـ لا يَعْتَرِفونَ بهِ، ولا يَقْبَلونَه رسولاً مِن عندِ اللهِ ـ تعالى ـ.

○ مَمْلَكَةٌ دُنيويَّةٌ :

موسى ومحمـدٌ ـ عليهمـا السلامُ ـ كانا رسولَيْن ومَلِكَيْن[1]، أقصدُ بالـرسـولِ الشَّخْصَ الـذي أنْـزَلَ اللهُ عليهِ وَحْياً مِن عنـدِه، وأَمَرَهُ بتبليغِهِ للنَّاسِ ؛ كما أُنْزِلَ عليهِ؛ من غيرِ أيِّ نقصٍ أو زيادةٍ.

وأقصدُ بالمَلِكِ الشخْصَ الذي يمْلِكُ القوَّةَ والسُّلطَةَ على أبناءِ شعْبهِ وأمَّتِه بعقوبَةِ الموتِ (أي: القتل حَدّاً) والعَفْو.

فليسَ مِن الضَّروريِّ أنْ يَلْبَسَ تاجاً، أو يلْبَسَ ثيابَ الملوكِ ليُصْبِحَ مِلكاً، فإذا كانَ بمقدورِ الشَّخْصِ أنْ يَحْكُمَ على أبناءِ أُمَّتِه بعقوبَةِ الموتِ بسببِ جرائِمَ اقْتَرفوها؛ فهُو مَلِكٌ على أبناء أُمَّتِه.

فموسى ـ عليه السلامُ ـ كانتْ لهُ مثلُ هٰذه السُّلْطَةِ والقُوَّةِ؛ كما جاءَ في الكتابِ المُقَدَّسِ، (سِفْر العَدَد) (١٥ / ٣٦):

«إنَّ ذٰلـك الـرَّجُـلَ الذي احْتَطَبَ يومَ السبتِ، فأَمَرَ موسى برجْمِهِ

---

(١) كره العلماء إطلاقَ لفظ (الملك) على النبي ﷺ؛ لِما جاء في الحديث أنَّه ﷺ خُيِّر بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً، فأشار إليه أنْ تواضَعْ، فقال:
«بلى نبيّاً عبداً».
رواه أحمد (٢ / ٢٣١) وغيره عن أبي هريرة؛ بسند صحيح.
وانظر: «فتح الباري» (٩ / ٥٤١)، و«التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية» (٢ / ١٨) للشيخ عبدالحيّ الكَتَّاني.
ولقد شرح الكاتبُ قصدَه من لفظ (ملك)، وليس عليه غضاضةٌ في هٰذا الأمر من حيث قصده ـ والله تعالى أعلم ـ إذ هو لا يتناقض مع إمامةِ النبي ﷺ وقيامه بتطبيق الحدود وتنفيذ الأحكَام (علي).

بالحجارَةِ حتى الموتِ ؛ كما أَمَرَهُ الله»[1].

وهنـاكَ نُصوصٌ كثيرةٌ في الكتابِ المقدَّسِ تُبَيِّنُ أَنَّ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ كانَ يَحْكُمُ بعُقوبَةِ القَتْلِ على الَّذينَ يُخالِفونَ بَعْضاً مِن أَوامِرِ الشَّريعَةِ.

والرَّسولُ محمَّدٌ ـ عليهِ السلامُ ـ كانتْ لهُ مثلُ هٰذه السُّلْطَةِ والقوَّةِ على أبناءِ أُمَّتِهِ.

وبالمقابِلِ ؛ نَجِدُ أَنَّ هُناكَ بعضَ الأنبياءِ الذينَ لمْ تَكُنْ لديهِمْ مثلُ هٰذهِ السُّلْطَةِ والقُـوَّةِ على أبنـاءِ أُمَّتِهم، حتى إِنَّ بعضـاً منهُم كانَ ضعيفاً وعاجِزاً أمامَ عِنادِ مُناوِئيهِ الَّذينَ رَفَضوا دَعْوَتَهُ :

ومِن بينِ هٰؤلاءِ الأنبياء : ١ ـ لوط. ٢ ـ دانْيال. ٣ ـ عَزْرا. ٤ ـ يوحَنَّا المَعْمَدان (يحيى). ٥ ـ يونُس ـ عليهم السلام ـ.

فهٰؤلاءِ الأنبياءُ كانُـوا يَدْعُونَ قومَهُم، ولكنْ لم تَكُنْ لديْهِمُ السُّلْطَةُ والقوَّةُ لتطبيقِ الشَّرائعِ والأحْكامِ على أبناءِ أُمَّتِهم.

ويُعَـدُّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ من بينِ هٰؤلاءِ الأنبياءِ ؛ كما جاءَ في

---

(١) جاء في (سِفْر العدد) (١٥ / ٣٢ ـ ٣٧) ما نصه :

«ولمَّـا كان بنو إسرائيل في البرِّيَّة ؛ وجدوا رجلاً يحتطب حطباً يوم السبت، فقدمه الذين وجدوه إلى موسى وهارون وكلِّ الجماعة، فوضعوه في المحرس ؛ لأنه لم يعلِن ماذا يفعل به، فقال الربُّ لموسى : قتلاً يقتلُ هٰذا الرجل، ليَرْجُمْهُ بحجارةٍ كلُّ الجماعة خارج المحلةِ، فأخرَجَه كل الجماعةِ إلى خارجِ المحلةِ، ورجَموه بحجارةٍ، فمات كما أمرَ الربُّ موسى» (وليد).

«إنجيل يوحَنَّا» (١٨ / ٣٥ ـ ٣٧) عندما جاؤوا بعيسى ـ عليه السلام ـ لِيَمْتَثِلَ أمامَ الحاكِمِ الرومانيِّ بيلاطُسَ بتُهمةِ التحريضِ على الفتْنَةِ والعِصيانِ؛ دافَعَ عيسى ـ عليهِ السلامُ ـ، وردَّ الاتِّهامَ عن نفسِهِ قائلاً:

«ما مَمْلَكَتي مِن هٰذا العالَمِ، لو كانَتْ مَمْلَكَتي مِن هٰذا العالَمِ؛ لَدافَعَ عنِّي أتْباعي حتى لا أُسَلَّمَ لليهودِ، ما مَمْلَكَتي مِن هُنا».

فهٰذا بيلاطُسُ الوثَنِيُّ رُغْمَ أَنَّه لم يَعْتَقِدْ أَنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ كانَ بكامِلِ قواهُ الفكْرِيَّةِ والجسدِيَّةِ؛ إلا أَنَّهُ لم يَعْتَقِدْ أبداً أَنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ يُشَكِّلُ خطَراً على مُلْكِهِ وحُكْمِهِ.

وعيسى ـ عليه السلامُ ـ لَمْ يَدَّعِ بأَنَّهُ مَلِكٌ، أو أَنَّ له مملكةً دُنيويةً، فمَمْلَكَتُهُ كانتْ روحانيةً، أي أَنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ لم يكنْ إلا نبيّاً ورسولاً، أليسَ هٰذا صحيحاً يا حضرَةَ القِسِّيسِ؟

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ لهُ: إذن؛ فإنَّ عيسى ليسَ مثلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهما السلامُ ـ.

○ لا شَرائعَ جَديدةً:

موسى ومحمدٌ ـ عليهما السلامُ ـ جاءا بقوانينَ وشرائعَ جديدةٍ لأبناءِ أُمَّتِهِم:

فموسى ـ عليه السلامُ ـ لم تَقْتَصِرْ دعوَتُهُ على الوصايا العشرِ، ولكنَّهُ جاءَ بشرائِعَ وشعائِرَ شاملةٍ لهدايةِ قَوْمِه بني إسرائيلَ.

ومحمدٌ ـ عليه السلامُ ـ بُعِثَ لأمَّةٍ تعيشُ في بربَريَّةٍ وجاهِليَّةٍ، فقد كانتِ الفاحشةُ مُتَفَشِّيَةً، وشُرْبُ الخَمْرِ ولَعِبُ القمارِ مُنْتَشراً، حتى إنَّهُم كانوا يَدْفِنونَ بناتِهم أحياءً، وكانُوا يَعْبُدونَ الأصنامَ والتّماثيلَ.

المُؤرِّخُ الإنجليزيُّ غيبون[1] في كتابه «سقوطُ الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّةِ» يتحدَّثُ عن حالَةِ العربِ قبلَ الإسلامِ، فيقولُ:

«الإنسانُ عندَما يكونُ قاسياً، بلا أحاسيسَ، يكونُ مِن الصعبِ تَمْييزُهُ عن الحَيوانِ».

لم يكنْ بينَهُم وبينَ الحيوانِ فارقٌ كبيرٌ، سوى أنَّهُم كانوا في قالَبِ البشَرِ.

مِن هٰذه الجاهِليَّةِ المُذِلَّةِ رَفَعَ محمَّدٌ ـ عليه السلامُ ـ أُمَّتَهُ؛ كما قالَ المؤرِّخُ الإنجليزيُّ توماس كارلايل[2]:

«فَجَعَلَها أُمَّةً تَحْمِلُ نورَ الهدايةِ والعلمِ لبَني البَشَرِ، إنَّ بعْثَةَ الرسولِ محمَّدٍ بالنسبةِ للعَرَبِ كانتْ بمثابَةِ ولادةٍ جديدةٍ، ولادةٍ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، فالجَزيرَةُ العربيةُ ظهرَتْ للوجودِ وللحياةِ بسببِ هٰذهِ الرسالةِ، فقد كانَ العَرَبُ فُقراءَ ورُعاةً يَطوفونَ في الصَّحْراءِ منذُ بدايَةِ العالَمِ؛ بلا وزنٍ،

---

(١) إدوارد غيبون (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤م): مؤرخ إنجليزي، يعد من أعظم المؤرخين في عصره. «المورد / أعلام» (وليد).

(٢) توماس كارلايل (١٧٩٠ ـ ١٨٨١م): كاتب ومؤرخ وفيلسوف إنجليزي. «المورد / أعلام» (وليد).

ولا قيمةٍ، ثم صارَ لهٰذه الأمَّةِ وَزْنٌ وقيمةٌ، ونَمَتْ، فأصْبَحَتْ أُمَّةً عَظيمَةً، ففي خِلالِ قرنٍ واحدٍ أصبَحَتْ هٰذهِ الأمَّةُ تمتدُّ مِن غَرناطَةَ في إسبانيا إلى دِلْهي في الهِندِ، وأشرَقَتْ بشَجاعَةٍ وروعةٍ، فأنارَتْ جزءاً كبيراً مِن العالَمِ بنورِ العَبْقَرِيَّةِ والنُّبوغِ»[1].

أمَّا بالنسبةِ لعيسى ـ عليه السلامُ ـ؛ فعندما ارْتابَ اليهودُ منهُ، وظَنُّوا أنَّـه جاءَ لِيُبَـدِّلَ شرائِعَهُم؛ عانَى الكثيرَ وهُو يُحاوِلُ إقْناعَهُم بأنَّهُ لم يَأْتِ بشرائعَ جَديدةٍ.

هٰذا ما صرَّحَ بهِ عيسى ـ عليه السلامُ ـ كما في «إنجيلِ مَتَّى» (٥ / ١٧ ـ ١٨)، حيث يقولُ:

«لا تَظُنُّوا أنِّي جئتُ لأبْطِلَ الشريعةَ وتعاليمَ الأنبياءِ، ما جِئْتُ لأُبْطِلَ بل لأُكَمِّلَ، الحقَّ أقولُ لكُمْ، قبلَ أنْ تَزولَ السَّماءُ والأرْضُ لَنْ يَزولَ حرفٌ أو نُقْطَةٌ مِن الشَّريعَةِ حتى يَتِمَّ كُلُّ شيءٍ».

وهٰذا الكلامُ واضحٌ، يُبَيِّنُ أنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ لم يَأْتِ بشرائعَ جديدةٍ، ولا بدينٍ جديدٍ، وإنَّما جاءَ لِيُكَمِّلَ ما جاءَ بهِ الأنبياءُ مِن قَبْلِهِ.

---

(١) هٰذه شهادةُ هٰذا المؤرِّخ مسيحيِّ الديانة، ونحن نقولُ مثل قوله؛ إلا أننا نُصْلِحُ لفظه قائلين:

«فأنارَتْ جزءاً كبيراً من العالم بنور الوحي والهداية».

فانظر ـ هداك ربِّي ـ إلى مَن يجعلون للقوميَّة العربية وزناً أعظم من وزن الإسلام، وينبذون الدين؛ جاهلينَ أو متجاهلين الفرق بين تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخهم بعده!

فهل مِن مُدَّكِر؟! (علي).

هٰذا ما أرادَ عيسى ـ عليه السـلامُ ـ أنْ يُفهِّمَهُ لليهودِ؛ إلا إذا كانَ يحاوِلُ خِداعَ اليهودِ، فيقولُ عكْسَ ما يُبْطِنُ، حتى يَجْعَلَ اليهودَ يَتَقَبَّلونَهُ على أَنَّهُ رسولٌ مِن عندِ اللهِ ـ تعالى ـ؛ لِيَفْرِضَ عليهِمْ دينَهُ!

لكنْ لا يُعْقَـلُ أبداً أنْ يَلْجَأَ رسولٌ مِن عندِ اللهِ ـ تعالى ـ إلى هٰذه الوسائِلِ الدَّنيئةِ؛ لِيُبَدِّلَ دِيانةً سَماويةً.

والمَسيحُ عيسى ـ عليهِ السـلامُ ـ كانَ يلْتَـزِمُ بالشـرائعِ، فقد تقيَّدَ بوصايا موسى ـ عليهِ السلامُ ـ، وكانَ يحتَرِمُ السَّبْتَ، فلمْ يَسْتَطِعْ أيُّ واحدٍ أنْ يَتَّهِمَ عيسى ـ عليهِ السلامُ ـ بعدَمِ التزامِهِ بالشريعَةِ، ولم يَسْتَطِعْ أحَدٌ أن يقولَ لهُ: لماذا لا تصومُ؟ أو لماذا لا تغسِلُ يَدَيْكَ عندَما تقْسِمُ الخُبْزَ؟

كانَتِ الاتِّهاماتُ تُوَجَّهُ إلى تلامِذَتِه أحياناً، ولٰكنْ لم تَكُنْ تُوَجَّهُ إلى عيسى ـ عليهِ السلامُ ـ، فقد كانَ عيسى ـ عليهِ السلامُ ـ يهودِيّاً صالِحاً، يحتَرِمُ الشَّرائعَ التي جاءَ بها الأنبياءُ مِن قبْلِهِ.

ومِن هُنـا نستَخْلِصُ أنَّ عيسى ـ عليه السـلام ـ لـم يَأْتِ بشـرائـعَ جديدةٍ؛ مِثْلَما فَعَلَ موسى ومُحَمَّدٌ ـ عليهما السلامُ ـ، أليسَ هٰذا صحيحاً يا حضرةَ القِسِّيسِ ؟!

أجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقلتُ لهُ: إذنْ؛ فإنَّ عيسى ليس مثـلَ موسى، ولكنَّ محمَّداً مثلُ موسى ـ عليهم السلام ـ.

ooooo

○ مُغادَرَةُ الحياةِ الدُّنيا:

موسى ومُحمَّـدٌ ـ عليهمـا السـلامُ ـ ماتا موتاً طبيعيّاً، ولكنْ حَسَبَ اعتقـادِكُمْ فإنَّ عيسى ـ عليه السـلامُ ـ ماتَ على الصَّليبِ، أَليسَ هٰذا صحيحاً يا حَضْرَةَ القِسِّيس ؟

أَجابَ القِسِّيسُ: نعم.

فقُلْتُ لهُ: إذنْ؛ فإنَّ عيسى ليسَ مثلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهِم السَّلامُ ـ.

○ المَقامُ السَّماويُّ:

موسى ومحمَّـدٌ ـ عليهِمـا السـلامُ ـ ماتا ودُفِنا في الأرْضِ، ولكنْ حَسَبَ اعتقادِكُم فإنَّ عيسى ـ عليه السلامُ ـ صَعَدَ إلى السَّماءِ[1] بعدَ أَنْ قامَ مِن بينِ الأمواتِ، أَليسَ هٰذا صحيحاً؟

فوافَقَني القِسِّيسُ.

فقلْتُ له: إذنْ؛ فإنَّ عيسى ليس مثلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهِم السلامُ ـ.

○ إسماعيلُ المولودُ الأوَّلُ:

بما أَنَّ القِسِّيسَ كانَ يُوافِقُني في كُلِّ النُّقاطِ التي طرحْتُها حتى الآنَ؛

---

(١) ويعتقدُ المسلمون أيضاً بصعود عيسى إلى السماء، لكنْ ليس بعد قيامِه من بين الأمـوات، ولكنْ بعـد أنْ نجّـاه الله ـ سبحـانـه ـ من الصَّلْب، وألقى شِبْهَـه على يهـوذا الإسخريوطي؛ كما هو مفصَّل في رسالتي «دراسة وتحليل لأصول النصرانية والأناجيل» (علي).

قلتُ له: إنَّ كُلَّ هٰذه النقاطِ جاءَتْ لإثباتِ وتحقيقِ كلمةٍ واحدةٍ في هٰذه النُّبوءةِ، وهي كلمةُ «مِثْلَك»، أي: مثلُ موسى ـ عليه السلام ـ.

وهٰذه النبوءةُ لا تقتَصِرُ على هٰذه الكلمةِ فقط، فهناكَ كلماتٌ أُخْرى نستطيعُ بحثَها، فالنبوءةُ تقولُ:

«أُقيمُ لهُم نَبيّاً، مِن وَسَطِ إِخْوَتِهم، مثلَك...».

النقطةُ التي سنبحَثُها الآنَ هي قولُه: «مِن وَسَطِ إخوتِهم».

ففي هٰذا النَّصِّ يُخاطِبُ الله ـ تعالى ـ موسى ـ عليه السلامُ ـ واليهودَ على أنَّهُم أبناءُ عِرْقٍ واحدٍ، وإخوانُهُم لا شكَّ ولا رَيْبَ هُم العربُ.

فالكتابُ المقدَّسُ يُحَدِّثُنا عن إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ، بأنْ كانَ له زوجتانِ: سارةُ، وهاجَرُ، فَوَلَدَتْ لهُ هاجَرُ ابناً، وكانَ هٰذا المولودُ أولَ مولودٍ لإبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ؛ كما جاء في (سِفر التكوين) (١٦ / ١٥) ما نصُّه:

«فولَدَتْ هاجَرُ لإبرامَ[1] ابناً».

وفي (سِفْر التكوين) (١٧ / ٢٣) ما نصُّهُ:

«فأَخَذَ إبراهيمُ إسماعيلَ ابنَهُ».

ونصٌّ آخَرُ في (سِفْرِ التكوين) (١٧ / ٢٥) يقولُ:

---

(١) حسب رواية الكتاب المقدَّس فإنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان اسمه إبرامَ، حتى أخبره الله ـ تعالى ـ بأنَّ اسمه سيكون إبراهيمَ؛ كما جاء في (سِفْر التكوين) (١٧ / ٤): «فلا يُدعى اسمُك بعدُ إبرام، بل يكون اسمُك إبراهيم» (وليد).

«وكانَ إسماعيلُ ابنُه ابنَ ثلاثَ عشرةَ سنةً حينَ خُتِنَ في لحمِ غُرْلَتِه».

وحتى بَلَغَ إسماعيلُ ـ عليه السلامُ ـ الثالثةَ عشرةَ مِن عُمُرِه؛ كانَ هُوَ المولودَ الأوَّلَ أو المولودَ البِكْرَ لإبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ.

وعندَما تَمَّ العَهْدُ[1] بينَ اللهِ ـ تعالى ـ وإبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ؛ رَزَقَ اللهُ ـ تعالى ـ إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ ولداً آخرَ مِن سارَةَ، هو إسحاقُ ـ عليه السلامُ ـ، والذي كانَ بطبيعةِ الحالِ أَصْغَرَ سِنّاً مِن إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ.

○ العَرَبُ واليَهُودُ:

إذا كانَ إسماعيلُ وإسحاقُ ـ عليهما السلامُ ـ ابْنَيْنِ لإبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ؛ فهُم إذَنْ إخوةٌ، وأَبناءُ كُلٍّ واحدٍ منهُم أَبناءُ إخوةٍ للآخَرِ، فأَبناءُ

---

(١) المقصودُ بالعهد هنا هو الاختتان؛ كما جاء في الكتاب المقدَّس في (سفر التكوين) (١٧ / ١٠ ـ ١٢):

«هذا هو عَهْدي الذي تحفظونه، بيني وبينَكم، وبين نسلِك من بعدِك، يُخْتَنُ كُلُّ ذكرٍ منكم، فتُختَنون في لحم غُرلتِكم، فيكون علامةَ عهدٍ بيني وبينكم».

ومن هنا يتَّضح لنا أنَّ الختانَ عهدٌ نَقَضَه النَّصارى بسبب تعاليمِ الرسول بولس مؤسِّس النصرانية الحديثة، حيث يقولُ في رسالته إلى كنيسة غلاطية (٥ / ٢):

«فأنا بولس أقول لكم: إذا اخْتَتَنْتُم؛ فلا يُفيدُكم المسيحُ شيئاً».

فنقضوا العهد، وخالفوا المسيح ـ عليه السلام ـ الذي اختتن هو أيضاً حِفاظاً على العهد؛ كما جاء في إنجيل لوقا (٢٠ / ٢١):

«ولما بلغَ الطفلُ ـ أي: المسيح ـ يومَه الثامن؛ كان هو يومَ ختانِه» (وليد).

إسحاقَ ـ عليه السلامُ ـ هم اليهودُ، وأَبناءُ إسماعيلَ ـ عليه السلامُ ـ هم العَربُ. وهٰذا ما يُؤيِّدُهُ الكتابُ المقدَّسُ حين قالَ عن إسحاقَ ـ عليه السلامُ ـ وأَبنائِه بأَنَّهُم إخوةٌ لإسماعيلَ ـ عليه السلامُ ـ؛ كما جاء في (سِفْر التكوين) (١٦ / ١٢):

«وأَمام إخوتِهِ يَسْكُنُ».

أي: إسماعيلُ ـ عليه السلامُ ـ يَسْكُنُ أَمام إخوتِه، وهُم اليهودُ.

ونَصٌّ آخَرُ في (سِفْرِ التكوينِ) (٢٥ / ١٨) يقولُ:

«أَمامَ جميعِ إخوتِهِ نَزَلَ».

والرسولُ محمدٌ ـ عليه السلامُ ـ جاءَ نَسْلُهُ مِن إسماعيلَ ـ عليهِ السلامُ ـ ابنِ إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ.

فقد حَدَّدَتْ هٰذه النُّبوءةُ نَسْلَ هٰذا الرسولِ القادِمِ، والذي هُو مثلُ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ بأَنَّهُ مِن وَسَطِ إخوتِهِم.

فالنُّبوءَةُ لمْ تَقُلْ: مِن وَسَطِ أَنفُسِهِم؛ فهي بهٰذا لا تنطَبِقُ على أَيِّ نبيٍّ مِن بني إسرائيلَ، ولكنَّها قالت: «مِن وَسَطِ إخوتِهِم»؛ فهي بهٰذا تنطَبِقُ على الرسولِ محمدٍ ـ عليهِ السلامُ ـ؛ لأَنَّه مِن وَسَطِ إخوتِهِم.

○ كَلِماتٌ في الفَمِ:

لكنَّ النبوءةَ لا تَقِفُ عند هٰذا الحَدِّ[1]، فهي تستَمِرُّ وتقولُ:

---

(١) وإن كان الحقُّ ـ والحمد لله ـ أبلجَ، يكفي مَن لم يركَبْ رأسَه، ويُعانِد نفسَه!! (علي).

«أَجْعَلُ كَلامي في فَمِهِ. . .».

ما المقصودُ مِن قولِه: «وأَجْعَلُ كَلامي في فَمِهِ»؟!

سأَلْتُ القِسِّيسَ قائلاً: لِنَفْتَرِضْ أَنَّني طلبْتُ مِنكَ أَنْ تَفْتَحَ الكتابَ المقدَّسَ على (سِفْرِ التثنِيَةِ) (١٨ / ١٨)، وتقومُ بقراءةِ هٰذه الفقَراتِ، فهلْ بهٰذه الطَّريقةِ جعلتُ كلامي في فَمِكَ؟

أَجابَ القِسِّيسُ: بالطبعِ لا.

فقلتُ له: ولكنْ بالمُقابِلِ، لو أَنَّني أَردْتُ أَنْ أُعَلِّمَكَ أَيَّ لغةٍ غَريبةٍ عنكَ؛ كاللُّغَةِ العربيَّةِ مَثَلاً، التي لا تَعْرِفُ عنها شيئاً، وطلبتُ منكَ أَن تُرَدِّدَ الكلماتِ التي سَأَتَلَفَّظُ بها، وعلى سَبيلِ المثالِ، لو طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تُرَدِّدَ مِن بَعْدي هٰذه الآياتِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ . ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[1]؛ أَلَسْتُ بهٰذه الطريقةِ أَجْعَلُ كلاماً أَنْتَ لا تعرِفُهُ في فَمِكَ؟

فوافَقَني القِسِّيسُ بأَنَّني بهٰذه الطريقةِ أَجعَلُ كلاماً لا يَعْرِفُهُ في فمِهِ!

فقلتُ للقِسِّيسِ: بهٰذه الطَّريقةِ تماماً أُنْزِلَ القُرآنُ الكريمُ على الرسولِ محمَّدٍ ـ عليه السلامُ ـ، فَكُتُبُ التَّاريخِ والسيرةِ تُخْبِرُنا بأَنَّ الرسولَ محمداً ـ عليهِ السلامُ ـ كانَ يذْهَبُ إلى غارٍ يَبْعُدُ ثلاثةَ أَميالٍ عن مدينةِ مَكَّةَ، فنزَلَ عليهِ المَلاكُ جِبْريلُ ـ عليهِ السلامُ ـ في ليلةِ السابِعِ والعِشْرينَ مِن شَهْرِ رَمضانَ، وكانَ عُمُرُهُ آنذاكَ أَربعينَ عاماً.

---

(١) سورة الإخلاص.

خاطَبَهُ المَلاكُ قائِلًا: ﴿اقْرَأْ﴾.

فردَّ عليهِ الرَّسولُ محمَّدٌ ـ عليه السلامُ ـ قائلًا: ما أنا بِقارِىءٍ. أي: لا أعرفُ القراءَةَ.

ثم خاطَبَهُ الملاكُ جِبْريلُ ـ عليهِ السلامُ ـ ثانيةً.

وفي المرَّةِ الثالثةِ قالَ لهُ الملاكُ جِبْريلُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسانَ مِن عَلَقٍ. اقْرَأْ وربُّكَ الأكْرَمُ. الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

فهٰذه هي أوَّلُ خمسِ آياتٍ نَزَلَتْ على الرَّسولِ محمَّدٍ ـ عليهِ السلامُ ـ، وهي مَوْجودَةٌ في القُرآنِ الكَريمِ كَما أُنْزِلَتْ في سُورَةِ العَلَقِ.

○ الشَّاهِدُ الصَّادِقُ:

وبعدَ أنْ غادَرَ الملاكُ جِبْريلُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ رَجَعَ محمدٌ ـ عليه السلامُ ـ إلى بيتِهِ مُسْرِعاً، يرتَعِدُ، ويتصبَّبُ عَرَقاً، وطَلَبَ مِن زوجَتِهِ خَديجَةَ ـ رضيَ الله عنها ـ أنْ تُدَثِّرَهُ[2] وتُغَطِّيه، فرَقَدَ في فِراشِهِ وهِيَ تُراقِبُهُ، وعندَما هَدَأَ رَوْعُهُ؛ أَخْبَرَ زَوْجَتَهُ خديجَةَ ـ رضي الله عنها ـ ما حَصَلَ لهُ في غارِ حِراءَ، ولكنَّها أكَّدَتْ لهُ إيمانَها بِهِ، وأنَّ الله ـ تعالى ـ لَنْ يَخْذُلَهُ أبداً...

فهل هٰذه اعترافاتُ رَجُلٍ دَجَّالٍ كَما يَدَّعي بعضُ النَّاسِ؟!

---

(١) العلق: ١ ـ ٥.

(٢) بمعنى تُغَطِّيه أيضاً (علي).

وهَـلِ الـدَّجَّالُونَ الَّذينَ يدَّعُونَ أَنَّ وَحْياً مِن السَّماءِ قَدْ نَزَل عليهِمْ يَرْتَعِدونَ، ويتصبَّبونَ عَرَقاً، ويُهْرَعُونَ إلى زوجاتِهِم؟!

إنَّ تَصَرُّفاتِ الرسولِ محمدٍ ـ عليهِ السلامُ ـ واعترافاتِه بما حَصَلَ لهُ تَدُلُّ على صِدْقِهِ وأَمانَتِه وإِخلاصِهِ، فقدْ كانَ مَعْروفاً بينَ النَّاسِ قبلَ بِعْثَتِهِ بالصَّادِقِ الأمينِ.

وخِـلالَ ثلاثـةٍ وعشـرينَ عاماً مِن نُزولِ الوَحْيِ كانتْ تَتَنَزَّلُ عليهِ الآياتُ بهٰذه الطَّريقَةِ، فتُوضَعُ في فَمِهِ، فَيُرَدِّدُها على أَصحابِهِ، فيُدَوِّنُونَها على أَوْراقِ النَّخيلِ وعلى جُلودِ الحَيواناتِ وعظامِها.

وكانَتْ أيضاً تُحْفَظُ في صُدورِ أَصْحابِهِ وتلامِذَتِهِ.

وقبلَ وفاتِهِ اكْتَمَلَ نُزولُ القُرآنِ الكَريمِ، وهُو القُرآنُ الذي بَيْنَ أَيْدينا الآنَ.

فَكَلِماتُ هٰذا القُرآنِ كانَتْ تُوضَعُ في فَمِ الرَّسولِ محمدٍ ﷺ تماماً كَما جَاءَ في هٰذه النُّبوءَةِ التي تَقولُ: «وأَجْعَلُ كَلامِي في فَمِهِ»[1].

○ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ:

إنَّ هٰذه التجربةَ التي خاضَها الرسولُ محمدٌ ـ عليهِ السلامُ ـ في غارِ حِراءَ ـ المُسَمَّى الآنَ بجَبَلِ النُّورِ ـ، وجوابَهُ لأوامِرِ الملاكِ جِبْريلَ ـ عليهِ

---

(١) وفي هٰذا يقول الله ـ سبحانه ـ في القرآن الكريم:
﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ . فإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩] (علي).

السلامُ ـ لهُ بالقراءَةِ، هو تحْقِيقٌ لنبوءةٍ أُخْرى جاءَتْ في الكِتابِ المُقَدَّسِ ، في (سِفْر أَشْعِياءَ) (٢٩ / ١٢)، والتي تَقولُ:

«أو يُدفَعُ الكتابُ ـ أي: القُرآنُ ـ لمَنْ لا يَعْرِفُ الكِتابَةَ ـ أي: النبيِّ الأمِّيِّ ـ».

كما جاء في القُرْآنِ الكريمِ في سورةِ الأعرافِ (الآية ١٥٨):

﴿فَآمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ النَّبِيِّ الأمِّيِّ...﴾.

وهٰـذا ما حَدَثَ تمامـاً في الغارِ عندَما قالَ الملاكُ جِبْريلُ ـ عليهِ السـلامُ ـ للرَّسـولِ مُحَمَّدٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ: ﴿اقْرَأْ﴾، فردَّ عليهِ: «ما أنا بِقارِىءٍ»، أي: لستُ بقارىءٍ، أي: إنني أُمِّيٌّ لا أَعرفُ القراءةَ ولا الكِتابَةَ.

ونَصُّ النبوءَةِ كما وَرَدَ في سِفْر إشْعِياءَ (٢٩ / ١٢) يقولُ:

«أو يُدْفَعُ الكِتابُ لِمَنْ لا يَعْرِفُ الكِتابَةَ، ويُقالُ لهُ: اقْرَأْ هٰذا. فيقولُ: لا أَعْرِفُ الكِتابَةَ».

هٰذا معَ العلمِ أَنَّهُ في القرنِ السادِسِ الميلادِيِّ لم يكنْ هُناكَ تراجِمُ باللُّغَةِ العربيَّةِ للكتابِ المُقَدَّسِ ، وهي الفترةُ التي عاشَ فيها الرَّسولُ محمدٌ ـ عليهِ السلامُ ـ إلى جانِبِ أَنَّهُ كانَ أُمِّيًّا لا يعرِفُ القراءةَ والكتابَةَ، ولم يَتَلَقَّ تَعْليماً مِن أَيِّ إنسانٍ، فاللهُ ـ سبحانَهُ وتعالى ـ هُو الذي عَلَّمَهُ؛ كَما قالَ في القُرْآنِ الكريمِ :

﴿ومَـا يَنْـطِقُ عَنِ الهَـوَى . إنْ هُو إلا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَـهُ شَدِيْدُ القُوَى﴾ [سورة النجم: ٣ ـ ٥].

○ الوَعيدُ الشَّديدُ:

قلتُ للقِسِّيس: أَرَأَيْتَ كيفَ تنطَبِقُ هٰذه النُّبوءَةُ على الرسولِ محمدٍ - عليهِ السلامُ - كما يَنْطَبِقُ القُفَّازُ على الكَفِّ؛ مِن غَيْرِ الحاجَةِ إلى الشَّطَطِ في تفسيرِ الأشياءِ، وخَلْقِ التسويغِ البعيدِ لها.

أجابَ القِسِّيسُ: إنَّ كُلَّ هٰذه النقاطِ والأفكارِ التي طَرَحْتَها تَبْدو جَيِّدَةً، ولكنَّها ليسَتْ مهِمَّةً بالنسبةِ لنا نَحْنُ النَّصارى، وذٰلك أَنَّنا نُؤمِنُ بالمسيحِ الإلٰهِ المتجسِّدِ الذي خَلَّصَنا مِن الخَطيئةِ[1].

فقلتُ للقِسِّيسِ مُندَهِشاً: تقولُ: إنَّ هٰذه الأمورَ ليستْ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ، ولكنَّ الله - تعالى - لا يَنْظُرُ إلى هٰذا الأمرِ بهٰذه البساطةِ، فاللهُ - تعالى - يَعْلَمُ أَنَّهُ سيكونُ هُناكَ أَشخاصٌ مثلُكَ، ولا يهتَمُّونَ بكلامِ اللهِ - تعالى - ويُعْرِضونَ عنهُ؛ لذٰلك حَذَّرَهُم في نفسِ النُّبوءَةِ التي في (سِفْرِ التَّثْنِيَةِ) (١٨ / ١٨) حيثُ يقولُ:

«ويكونُ - أي: أَنَّهُ سَيكونُ وسيحْدُثُ - أَنَّ الإنسانَ الذي لا يَسْمَعُ لكلامي الذي يَتَكَلَّمُ بِهِ باسْمِي، أَنا أُطالِبُهُ».

---

(١) النصارى يعتقدون أن عيسى - عليه السلام - صُلِبَ ومات، وبدمهِ الذي أُريق على الصليب خلَّصهم من خطاياهم، وبعد موته دُفِنَ لمدة ثلاثة أيامٍ، ثم قام من بين الأموات، وأيُّ إنسانٍ لا يعتقِدُ هٰذا؛ فلا يعَدُّ نصرانياً وسيكونُ من أصحاب الجحيم؛ كما جاء في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس (١٥ / ١٣):

«إنْ كان الأموات لا يقومون؛ فالمسيح ما قام أيضاً، وإن كان المسيحُ ما قام؛ فتبشيرنا باطلٌ، وإيمانُكم باطلٌ» (وليد).

وفي نُسخةِ الكاثوليكِ ينْتَهي النصُّ بقولِه:

«سأكونُ أنا المُنْتَقِم».

أي: أنَّني سأنْتَقِمُ منهُ.

ألا يُخيفُكَ هٰذا الوعيدُ الشَّديدُ مِن اللهِ ـ تعالى ـ؟!

فنحنُ نرتَعِدُ خوفاً إذا قامَ مُجْرِمٌ أو قاطِعُ طريقٍ بتهديدِنا، وأنتَ لا تخافُ مِن وعيدِ اللهِ ـ سبحانَه وتعالى ـ!!

ومُعْجزَةُ المُعْجزاتِ هي الفقرة (١٩) مِن نفسِ الإصحاحِ (١٨) مِن (سِفْر التثنيةِ) الذي يقولُ:

«كلامِي الذي يَتَكَلَّمُ بهِ باسْمِي».

باسْمِ مَنْ يَتَكَلَّمُ الرَّسولُ محمدٌ ـ عليهِ السَّلامُ ـ؟!

وهُنا قُمْتُ بفَتْحِ القرآنِ الكَريمِ ـ وهُو تَرْجَمَةٌ لمعاني القرآنِ الكَريمِ للشَّيخِ يُوسُف علي باللغَةِ الإنجليزيَّة ـ على سورَةِ النَّاسِ، وعلى رَأْسِ السُّورَةِ مَكْتوبٌ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ﴾، وهٰكذا كُلُّ سُورَةٍ مِن سُوَرِ القُرْآنِ الكريمِ؛ باسْتِثْناءِ سورَةِ التَّوبةِ، فلا تَبْدَأُ بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ﴾.

النُّبوءَةُ تَقولُ: «كَلامي الذي يَتَكَلَّمُ بهِ باسْمِي»، فباسْمِ مَنْ تَكَلَّمَ محمدٌ ـ عليه السَّلامُ ـ؟!

إنَّهُ يتَكَلَّمُ بِاسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ، حتَّى إنَّ المسلِمَ غالباً يبْدَأُ

أعمالَهُ وأَقوالَهُ بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ﴾.

أَمَّـا النَّصارى؛ فإِنَّهُم غالباً ما يبدؤونَ بقوْلِهِمْ: بِسْمِ الآبِ والابنِ والرُّوحِ القُدُس.

لقـد أعـطيْتُ القِسِّيسَ خَمْسَةَ عشرَ سَبباً تَجْعَلُ المقصودَ مِن هٰذه النُّبوءَةِ هو الرسولَ محمَّداً ـ عليه السلامُ ـ وليس عيسى ـ عليه السلامُ ـ.

○ **يوحَنَّا المَعْمَدانُ يُعارِضُ المَسيحَ ـ عليه السَّلامُ ـ:**

في زَمَنِ العَهْـدِ الجَديدِ كانَ اليهودُ ينتَظِرونَ نَبيّاً مِثلَ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ؛ كما جاءَ في «إنجيلِ يوحَنَّا» (١ / ١٩ ـ ٢٥)، عندَما قالَ عيسى ـ عليهِ السَّـلامُ ـ بأَنَّـهُ المسيحُ الذي ينْتَظِرُهُ اليَهودُ؛ بَدَأَ اليهودُ بسؤالِهِ عن إيليا، وذٰلكَ لأنَّ مجيءَ المسيحِ بالنسبةِ لليهودِ كانَ مَقْروناً بمَجيءِ إيليا قبلَهُ.

وقدْ أَكَّدَ المَسيحُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هٰذا بقَوْلِهِ في «إنجيلِ مَتَّى» (١٧ / ١١ ـ ١٣):

«نَعَمْ، يَجيءُ إيليا أَوَّلاً، ويُصْلِحُ كُلَّ شَيءٍ، ولكنِّي أَقولُ لكُم: جاءَ إيليا فَما عَرَفُوهُ، بلْ فَعَلُوا بهِ على هَواهُمْ، وكذٰلكَ ابنُ الإنسانِ سيَتَأَلَّمُ على أَيْدِيهِمْ، ففَهِمَ التلاميذُ أَنَّهُ كانَ يُكَلِّمُهُمْ عن يُوحَنَّا المَعْمَدانِ».

وحَسَبَ ما يَرْوي لنا «العهْدُ الجَديدُ»، فإنَّ اليهودَ لَمْ يَكُونوا مِن تلكَ النَّوعيةِ التي تَتَقَبَّلُ بسهولَةٍ تصريحَ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ لهُم بأَنَّهُ المسيحُ المُنْتَظَرُ، فلَقَدْ عَانَى اليَهُودُ مِن خِلالِ تَحْقِيقَاتِهِم وبَحْثِهِمْ لمعرِفَةِ المسيحِ

المُنْتَظَرِ؛ كما جاءَ في «إنجيلِ يُوحَنَّا» (١ / ١٩ ـ ٢٠) ما نَصُّهُ:

«هٰذه شَهادَةُ يُوحَنَّا حينَ أَرْسَلَ إليهِ اليَهودُ مِن أُورْشَليمَ كَهَنَةً ولاوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فاعْتَرَفَ وما أَنْكَرَ؛ اعْتَرَفَ وقالَ: ما أَنا المَسيحُ».

وهٰذا جوابٌ طبيعِيٌّ ومنطِقِيٌّ، إذ ليسَ مِن المَعْقولِ إنْ يَكونَ هُناكَ مَسيحانِ في وقتٍ واحدٍ، فبما أَنَّ عيسى ـ عليه السَّلامُ ـ كانَ هُو المَسيحَ في ذٰلك الوَقْتِ؛ فليسَ مِن المَعْقولِ أَنْ يَكونَ يوحَنَّا مَسيحاً أَيضاً.

ثم سَأَلوهُ:

«فقالوا لهُ: مَنْ أَنْتَ إذنْ؟ هَلْ أَنتَ إيليا؟ قالَ: ولا إيليا».

وهُنا يُعارِضُ يوحَنَّا المَعْمَدانُ قولَ المسيحِ بأَنَّهُ إيليا.

حاشا للهِ ومَعاذَ اللهِ أَنْ لا يَقولَ عيسى أَوْ يُوحَنَّا ـ عليهِما السَّلامُ ـ الصِّدْقَ، فَيُوحَنَّا ـ عليهِ السَّلامُ ـ يُعَدُّ مِن أَعْظَمِ رُسُلِ بَني إسرائيلَ؛ كَما شَهِدَ له عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ بقولِهِ في «إنجيلِ متَّى» (١١ / ١١):

«الحَقَّ أَقولُ لكُمْ، مَا ظَهَرَ في النَّاسِ أَعْظَمُ مِن يوحَنَّا المَعْمَدانِ».

ونحنُ المسلمينَ نُؤمِنُ بيوحَنَّا المعمدانِ، ونُسَمِّيهِ يحيى ـ عليه السلامُ ـ، وعيسى ـ عليه السلامُ ـ يُعَدُّ مِن الرُّسُلِ أُولي العَزْمِ[1]، ولا

---

(١) وفي هٰذا يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولو العَزْمِ مِن الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال الإمامُ ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٢٦٣):

«وأشهرُ الأقوالِ أَنَّهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء محمد ﷺ» (علي).

نَستـطيعُ أنْ نَتَّهِمَ أيَّ وَاحِـدٍ منهُمـا بعَدَمِ قَوْلِ الصِّدْقِ، فهٰذه المُشْكِلَةُ ـ مُشْكِلَةُ تعـارُضِ قولِ عيسى معَ قوْلِ يوحَنَّـا عليهِمـا السَّلامُ ـ نَتْرُكُها للنَّصارى؛ ليَجِدوا لها حَلاًّ؟!

والـذي يَهُمُّنـا الآنَ هُو السُّؤالُ الأخيرُ الـذي سأَلَـهُ اليَهـودُ ليوحَنَّـا المَعْمَدانِ، حيثُ سأَلوهُ:

«هلْ أنْتَ النبيُّ؟ أَجابَ: لا» (يوحنا ١ / ٢١).

○ ثلاثةُ أَسئلةٍ:

في هٰذا النَّصِّ نجِدُ ثلاثَةَ أَسئلَةٍ مُختلفةٍ ومُستقلَّةٍ مُوَجَّهةٍ إلى يوحَنَّا المَعْمَدانِ ـ عليه السلامُ ـ أَجابَ عليها جَميعَها بجوابٍ واحدٍ هو: لا.

السُّؤالُ الأوَّلُ: هل أَنتَ المسيحُ؟

السُّؤالُ الثَّاني: هل أَنتَ إِيليا؟

السُّؤالُ الثَّالِثُ: هل أَنتَ النبيُّ[1]؟

---

(١) جاء في «تفسير العهد الجديد» للدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد في جامعة جلاسجو في بريطانيا في شَرْح «إنجيل يوحنا» (ص ١٠٩) عن هٰذا النبيِّ فقال:

«وهذا الوعدُ كان محفوراً بحروفٍ من نارٍ في مخيِّلَةِ كلِّ يهوديٍّ، كانوا ينتظرون ظهور ذلك النبي، الذي هو **سَيِّدُ الأنبياءِ وأعظمُهُم**، وكانوا يشتاقون ليوم ظهورِه، وهو النبيُّ الموعود الذي تنبَّأَ عنه موسى في (سفر التثنية) (١٨ / ١٥)» (وليد).

قلتُ: وسيِّد الأنبياءِ وأعظمُهم هو خاتمُهم رسولُنا محمدٌ ﷺ؛ كما ثبَتَ ذٰلك بأدلَّةٍ كثيرةٍ وفيرةٍ.

وانظر كلمةَ العالِمِ الأمريكيِّ جولز ماسرمان الآتية في توكيد ذٰلك عقلاً. (علي).

والغريبُ أَنَّ عُلماءَ الدِّينِ المسيحِيِّ لا يَرَوْنَ إلا سؤالَيْن اثنينِ، على الرُّغْمِ مِن أَنَّ النَّصَّ واضحٌ وصَرِيحٌ، يُؤَكِّدُ أَنَّ هُناكَ ثلاثَةَ أَسئلَةٍ مختلِفَةٍ ومستَقِلَّةٍ تُبَيِّنُ ثلاثَ نُبـوءاتٍ مختلِفَـةٍ ما جَاءَ في تَتِمَّةِ النَّصِّ، عندَما كانَ اليهودُ يسأَلُونَ يوحَنَّا المَعْمَدانَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ:

«فقالوا ليوحَنَّا: كيفَ تُعَمِّدُ:

١ ـ وما أَنْتَ المسيحَ.

٢ ـ ولا إيليا.

٣ ـ ولا النَّبِيَّ». «إنجيل يوحنا» (١ / ٢٤).

إذَنْ؛ فاليهودُ كانوا بانْتِظارِ ثلاثِ نُبوءاتٍ مختلفَةٍ ومستَقِلَّةٍ، وهي:

١ ـ مَجيءُ المَسيحِ ـ عليهِ السَّلامُ ـ.

٢ ـ مَجيءُ إيليا.

٣ ـ مَجيءُ النبيِّ.

○ مَجيءُ النبيِّ:

إذا قُمْنا بالبَحْثِ في أيِّ أَنجيلٍ يحتَوي على بعضِ الشُّروحاتِ أو التَّعليقـاتِ في الجَـوانِبِ أو الحَواشِي؛ نجدُ رقماً فوقَ كلمةِ (النبيّ) في قولهم: «هل أَنتَ النبيُّ؟»، وفي الشَّرْحِ نجدُهُمْ يقولونَ: إنَّهُ النبيُّ المذكورُ في (سفر التَّثْنِيَةِ) (١٨ / ١٨) الذي هُو مِثْلُ موسى ـ عليه السلامُ ـ.

ونحنُ أَثْبَتْنا بالأدِلَّةِ والبراهينِ الواضِحَةِ أَنَّ هٰذا النبيَّ هو محمدٌ وليس

المسيحَ ـ عليهما السَّلامُ ـ.

ونحنُ المسلمينَ لا نُنْكِرُ نُبُوَّةَ عيسى المسيحِ ـ عليه السلامُ ـ، ولا نُنْكِرُ آلافَ التَّنَبُّؤاتِ التي تَحَدَّثَتْ عن مَجيءِ عيسى ـ عليهِ السَّلام ـ، ولكنَّ الذي نقولُه هو أَنَّ النُّبوءَةَ التي في (سِفْرِ التَّثْنِيَةِ) (١٨ / ١٨) لا تنْطَبِقُ على عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ، ولكنَّها تنطَبِقُ على الرَّسولِ محمدٍ ـ عليه السَّلامُ ـ.

وبكُلِّ أَدَبٍ واحترامٍ أَنْهَى القِسِّيسُ حَديثَنا قائلاً: كانَ هٰذا الحَديثُ مُمتعاً جِدّاً، وأَنا أَرْغَبُ في دعْوَتِكَ لتُلْقي كَلِمَةً في كَنيستي حولَ الموضوعِ نفسِهِ.

مَضَى عَقْدٌ ونصفٌ مِن الزَّمانِ منذُ ذٰلك الوقتِ، وما زلتْ بانتظارِ هٰذه الدَّعوةِ!!

وأَنا أَعتَقِدُ أَنَّ القِسِّيسَ كانَ جادّاً في دَعْوتِهِ لي، ولكنْ مِن الصَّعْبِ جدّاً التغلُّبُ على النَّفْسِ، ولا يُوجَدُ راعٍ يُحِبُّ فِقْدانَ بعْضِ خِرافِهِ!

○ الامْتِحانُ الحَاسِمُ:

إلى أَتْبـاعِ عيسى ـ عليهِ السلامُ ـ أَقولُ: لماذا لا نُطَبِّقُ الامتحانَ الحاسِمَ الذي أَرادَ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ مِنْكُم أَنْ تُطَبِّقوهُ على أَيِّ شخصٍ يدَّعِي النُّبُوَّةَ؛ كما قالَ في «إنجيلِ مَتَّى» (٧ / ١٦ ـ ٢٠):

«أَيَّاكُم والأنبياءَ الكَـذَّابينَ، يَجيئـونَكُم بثِيابِ الحُمْـلانِ، وهُم في باطِنِهِمْ ذِئابٌ خاطفةٌ، مِن ثمارِهِمْ تَعْرِفونَهُم، أَيُثْمِرُ الشَّوْكُ عِنباً، أَم العُلَّيْقُ

تينـاً؟! كُلُّ شجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تحمِلُ ثَمراً جَيِّداً، وكُلُّ شجَرَةٍ رَديئةٍ تحْمِلُ ثَمراً رَديئاً، فما مِن شَجَرَةٍ جَيِّدةٍ تحمِلُ ثَمراً رَديئاً، ومَا مِن شَجَرَةٍ رَديئةٍ تَحْمِلُ ثَمراً جَيِّداً، كُلُّ شَجَرَةٍ لا تحْمِلُ ثَمَراً جَيِّداً؛ تُقْطَعُ وتُرْمَى في النَّارِ، فمِنْ ثِمارِهِمْ تعرِفونَهُم»؟!

لماذا تَهابونَ مِن تطبيقِ هٰذا الامتحانِ على تعاليمِ محمَّدٍ ـ عليه السلامُ ـ؟!

فإنَّنا نجدُ في العَهْدِ الأخيرِ[1] الذي هو القُرآنُ الكريمُ الذي أَنْزَلَهُ الله ـ تعالى ـ، نجِدُ فيهِ رسالةً كاملةً مُتَمِّمَةً لِما جاءَ على لِسانِ موسى وعيسى ـ عليهِمـا السَّـلامُ ـ، والتي تُعْـطي العـالَمَ السَّلامَ والسَّعـادَةَ اللَّذَيْنِ يَنْشُدانِهما؛ كَما قالَ بِرْنَاردْ شُو:

«لو أَنَّ شَخْصاً مثلَ محمَّدٍ تولَّى الحُكْمَ المُطْلَقَ للعالَمِ ؛ لاسْتَطاعَ أَنْ يُعالِجَ مَشاكِلَ العَالَمِ ، ويُوَفِّرَ لهُ السَّلامَ والسَّعادَةَ؛ لأنَّ العالَمَ في أَمَسِّ الحَاجَةِ لهُما».

○ الأعْظَمُ:

«مجلةُ التايمز» الأخبارِيَّة في عددها الصادر في ١٥ / ٧ / ١٩٧٤ قامتْ بدراسـةٍ لمعـرفـةِ آراءِ الكثيرينَ مِن المُؤرِّخينَ والكُتَّـابِ ورجالاتِ

(١) هٰذه التسمية جاءَتْ لأن النصـارى يسمــون «التـوارة» بـ «العهـد القـديم» و«الإنجيل» بـ «العهد الجديد»، فقام الشيخ أحمد ديدات بحَثِّهِمْ على قراءة القرآنِ الكريم الذي هو العهدُ الأخير الذي لا كتابَ بعدَه. (وليد).

الجَيْشِ والأعمالِ حولَ موضوعِ : مَنْ هُو أَعْظَمُ قادةِ العالَمِ ؟

بعضُهُمْ قالَ: إنَّهُ هِتْلَر.

وبعضُهُم الآخر قالَ: إنَّه بُوذا.

وآخَرونَ قالوا: إنَّهُ غانْدي.

ولكنَّ العالِمَ النفسانِيَّ الأمريكيَّ جولز ماسِرْمان وَضَعَ بعضَ القوانينِ والضَّوابِطِ الأساسيَّةِ التي تُقَرِّرُ عَظَمَةَ القيادَةِ، فقالَ:

«هُناكَ ثلاثةُ ضوابطَ تُقَرِّرُ عظَمَةَ القيادَةِ هي:

١ ـ القائِدُ العظيمُ يُوَفِّرُ الخيرَ والسعادَةَ لأمَّته.

٢ ـ يُوَفِّرُ نظاماً اجتماعياً مُتكامِلاً يُعطي الشُّعورَ بالأمانِ للأمَّةِ.

٣ ـ يُوَفِّرُ للأمَّةِ مُعتقداتٍ ومبادىءَ يُؤْمِنونَ بها».

استناداً على هذه الضوابِطِ الثلاثَةِ بدأ جولز ماسِرْمان بحوثَهُ وتحليلاتِه عن هِتْلَر، ولُويس باسْتُور، وقيصر، وموسى ـ عليه السلام ـ، وكونفوشْيوس، وآخرينَ غيرِهم، فقالَ:

«إنَّ أَمثالَ باستور وسالْك هُم قادةٌ ينْتَمونَ إلى الضَّابِطِ الأوَّلِ، وآخَرونَ أَمثالُ غانْدي وكونفوشْيوس من جهةٍ وقيصرَ وهتلرَ من جهةٍ أُخرى؛ فإنَّهُم ينْتَمونَ إلى الضابطِ الثاني، وربَّما أَيضاً الضابطِ الثالثِ، أمَّا بالنسبةِ للمسيحِ عيسى ـ عليه السلام ـ وبوذا؛ فإنَّهم ينتمون إلى الضَّابِطِ الثالثِ، ولعلَّ أَعْظَمَ قائدٍ في التاريخِ هُو مُحَمَّدٌ ـ عليه السلامُ ـ الذي جَمَعَ بينَ

الضوابِطِ الثلاثَةِ، وموسى ـ عليهِ السلامُ ـ تقريباً جَمَعَ بينَهُم كذلك».

وحَسَبَ هٰذه الضـوابِطِ التي وَضَعَهـا هٰذا البـروفيسـور مِن جامعـةِ شيكاغو في الولايات الأمريكية المتَّحدةِ، فإنَّ عيسى ـ عليه السلام ـ وبوذا لَيْسا مِن قادةِ العالَمِ العظامِ ، أَمَّا موسى ومحمَّدٌ؛ فإنَّهما جاءا في مجموعةٍ واحدةٍ، ممَّا يؤيِّدُ نقاشَنا مع القسِّيسِ فان هَيْدرن، ويَدْعَمُ قولَنا: إنَّ عيسى ليسَ مثلَ موسى، ولكنَّ محمداً مثلُ موسى ـ عليهم السلامُ ـ.

وأَخْتِمُ رسالَتي هٰذه مُسْتَشْهِداً بقولِ أَحَدِ عُلماءِ الدِّينِ المَسيحيِّ وهو البروفيسور ديميلو حيث يقولُ:

«إنَّ الميزانَ الأسـاسِيَّ الـذي يُعْـرَفُ بهِ النبيُّ الصادِقُ هو تعاليمُهُ للمناقِبِ والأخْلاقِ».

كما قالَ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ:

«مِن ثِمارِهِمْ تَعْرِفونَهُم». «متى» (٧ / ١٦).

ooooo

○ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتابِ تعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُم أَلَّا نَعْبُدَ إلا اللهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِن دُونِ اللهِ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

بهٰذا الأسلوبِ الأدبيِّ الرَّفيعِ يُخاطِبُ الله ـ تعالى ـ اليهودَ والنَّصارى في القُرآنِ الكَريمِ.

والمُسْلِمُ هُنا مأْمُورٌ لِيَدْعُو أَهْلَ الكِتابِ... أهلَ العِلْمِ... أهلَ الكِتابِ المُقدَّسِ؛ لعِبادَةِ اللهِ وحْدَهُ ـ سبحانَهُ وتعالى ـ؛ لأَنَّهُ لا شيءَ يسْتَحِقُّ العِبادَةَ سوى اللهِ ـ تعالى ـ، ليس لأنَّهُ قالَ: «لأنَّني أنا الرَّبُّ إلٰهكَ، إلٰهٌ غيورٌ، أفتقدُ ذنوبَ الآباءِ في الأبناءِ في الجيلِ الثالِثِ والرَّابعِ مِن مُبْغِضِيَّ» (الخروج ٢٠ / ٥)، ولكنْ لأَنَّهُ إلٰهُنا، وربُّنا، وخالِقُنا، وحافِظُنا، ورازِقُنا، ولأَنَّهُ يستَحِقُّ العِبادَةَ والشُّكْرَ.

نظرِيّاً ومبدئيّاً يَتَّفِقُ اليَهودُ والنَّصارى مَعَ ما يَقولُهُ القُرآنُ الكريمُ، ولكنَّ هٰذا الاتِّفاقَ لا يَخْرُجُ إلى حَيِّزِ الوُجودِ والعَمَلِ.

إلى جانِبِ الانحرافِ عن وحدانيَّةِ الله ـ تعالى ـ، فهُناكَ قضيَّةُ الرَّهبانِيَّةِ ـ وهيَ بينَ اليهودِ مُتوارَثَةٌ ـ التي تَجْعَلُ هٰذا الإنسانَ الكاهانا أو البابا أو الرَّاهِبَ أو البرْهَمانَ يَدَّعي ـ مُتَرَفِّعاً عن تعاليمِهِ ونَقاءِ حَياتِهِ ـ أَنَّهُ الوسيلةُ الوحيدَةُ بينَ النَّاسِ وخالِقِهم.

الإسلامُ لا يُقِرُّ هٰذه الرَّهبانِيَّةَ.

لقدْ بَيَّنَ لنا القُرآنُ الكَريمُ العقيدَةَ الإسلامِيَّةَ في هٰذه الآياتِ:

﴿قُولُوا آمَنَّا باللهِ وما أُنْزِلَ إلَيْنا وما أُنْزِلَ إلى إبْراهِيْمَ وإسْمَاعِيْلَ وإسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأسْبَاطِ ومَا أُوْتِيَ مُوسَى وعِيْسَى وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ونَحْنُ لهُ مُسْلِمونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

موقفُ المسلمِ جَلِيٌّ وواضحٌ، فالمسلمُ لا يَدَّعي بأَنَّ لهُ ديناً خاصّاً بهِ، والإسلامُ ليس طائفةً ولا ديانَةً وثنيَّةً.

وعَقيدَةُ المُسلِمِ تَنُصُّ على أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ واحدٌ؛ لأنَّ الحقيقَةَ واحدةٌ لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَغَيَّرُ:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِن الدِّينِ ما وَصَّى بهِ نُوحاً والَّذِيْ أَوْحَيْنا إلَيْكَ وما وَصَّيْنَا بهِ إبْراهِيْمَ ومُوسَى وعِيْسَى أَنْ أَقِيْمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

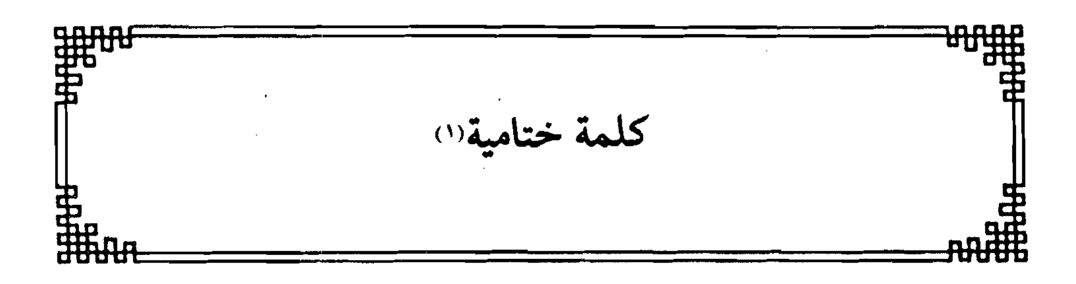
إنَّها الحقيقةُ التي جاءَتْ بها الأديانُ والكُتُبُ السماويةُ، ففي جَوْهَرِها تَبْني في الإنسانِ الشُّعورَ والوَعْيَ بإرادةِ اللهِ وغايَتِه، والخضوعَ المُمْتِعَ لهٰذه الغايَةِ والإرادَةِ.

وأَيُّ إنسانٍ يَبْتَغي ديناً غَيْرَ هٰذا الدِّينِ؛ فإنَّهُ يُعارِضُ فِطْرَتَهُ التي فَطَرَهُ اللهُ عليها، ويُعارِضُ غايَةَ اللهِ وإرادَتَهُ، وإنسانٌ كهٰذا لا يَتَقَبَّلُ الهدايةَ؛ لأنَّهُ يَتَعَمَّدُ رفْضَ الهدايةِ.

تَمَّ بحَمْدِ اللهِ تعالى

○○○○○





كلمة ختامية(١)

... تَضَعُ النِّقاطَ على الحُروف: تُدْنِيك من الحقِّ وتردُّك عن الباطلِ المألوف:

فإذا كُنتَ مسلِماً؛ فلْتَكُنْ هٰذه الرسالةُ حافِزاً لكَ على ازدِيادِ الطاعةِ، ونَشْرِ الدعوةِ، واحْمَدِ اللهَ سُبحانَه على هٰذا الحَقِّ الصُّراحِ الذي أَنْتَ مُتَلَبِّسٌ بهِ، قائِمٌ عليهِ.

وإذا كُنْتَ غيرَ ذٰلك؛ فالحُجَّةُ دامِغَةٌ، والبرهانُ ظاهِرٌ، والدَّليلُ قويٌّ... فليْسَ عليكَ إلَّا الرُّجوعُ إلى الحَقِّ... فعَجِّلْ بهِ... ولا تُسَوِّفْ... ولا تُؤَخِّرْ!

وليس في إسلامِنا العظيم ـ وللهِ الحمدُ ـ «صُكوكُ غُفرانٍ»!! إنَّما هي كلِمَةٌ تُخْرِجُها مِن أعماقِ فُؤادِكَ... فَيَنْطَلِقُ بها لسانُكَ:

أَشهَدُ أَنْ لا إلٰه إلا اللهُ... وأَشهَدُ أَنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ.

---

(١) بقلم: علي حسن علي عبد الحميد.

وتأمَّلْ ـ هداكَ ربِّي ـ قولَ اللهِ العظيمِ جَلَّ جلالُهُ:

﴿وإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسَى ابنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذونِي وأُمِّي إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نَفْسِي ولا أَعْلَمُ مَا في نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لهُمْ إِلَّا مَا أَمَـرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وربَّكُمْ وكُنْتُ عليْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ وأَنْتَ عَلى كُلِّ شيءٍ شَهِيدٌ . إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وإِنْ تَغْفِرْ لهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ . قالَ اللهُ هٰذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خَالِدينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ . للهِ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ ومَا فِيهِنَّ وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فَلْتَكُنْ هٰذه الآياتُ الجليلةُ التي تُخـاطِبُ الـوُجـدانَ... وتُكَلِّمُ القَلْبَ؛ نِبراساً نَستضيءُ بِهِ... ومِشْعَلَ خيرٍ يَهْدينا صِراطَ اللهِ المُسْتَقيمَ، مَوَحِّدينَ اللهَ سُبحانَه... رافِضينَ الشِّرْكَ بصورِهِ وأَلوانِهِ...

أَمَّا أَنْ نَكِعَّ... رَاضِينَ بالدُّونِ... قانِعينَ بالقُلِّ... فهٰذا ما لا يُمْكِنُ أَنْ نَرْضاهُ لِغَيْرِنا... فكَيْفَ أَنْفُسَنا؟!

فالواجبُ ـ هَداكُمُ اللهُ سبيلَ الرَّشادِ ـ نَفْضُ غُبارِ التَّقليدِ... ورَفْضُ آصارِ العَصَبيَّةِ... حتى تَنْشَرِحَ الصُّدورُ... وتَتَنَوَّرَ القُلوبُ...

فحينئذٍ ـ وحينئذٍ فقَطْ ـ لا سَبيلَ إلى الاغْتِرارِ بواقعٍ نعيشُهُ، أو حياةٍ

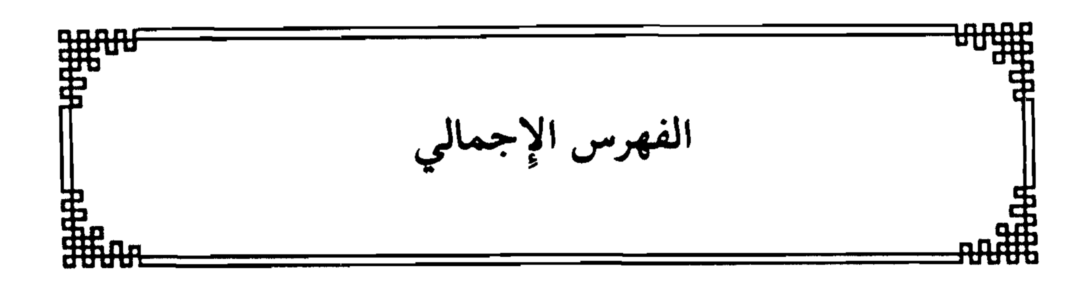
أَلِفْناها. . . فلا يَعْبَأُ أَحَدٌ بِسُمْعَةٍ مِن الدُّنيا نالَها. . . أو بشهْرَةٍ مِن الباطِلِ حازَها. . .

﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيْلَ﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هُو زَاهِقٌ﴾.

OOOOO





الفهرس الإجمالي

الصفحة

OOOOO


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





دار ابن الجوزي